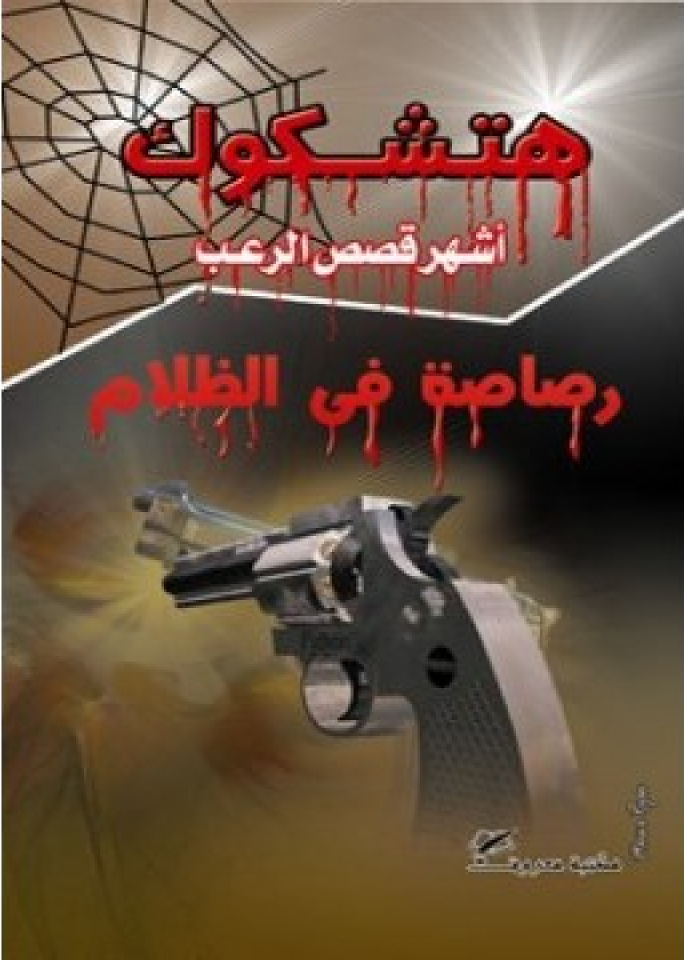


هتشكوك
أشهر قصص الرعب
رصاصة فى الظلام

هتشكوك

رصاصة فى الظلام

الاسكندرية ـ ٤٨١٠٨٢٨/٤٨٤٦٤١٠ فاكس ـ ٤٨٦٠٠٨٩ القاهرة ـ ٤٠٣٤٠٤٢
ص.ب.٣٧ الاسكندرية E-mail:maarou2004@hotmail.com

رصاصة فى الظلام

يملك جيمس كالفن (جيسى) ويليام متجرا لبيع البقالة بالجملة والقطاعى ، كما يملك محلجين للقطن ومكتب توكيل سيارات والفندق الوحيد بالبلدة ومخزن الدقيق الواقع بجوار السكة الحديد وعددا آخر من المحلات التجارية وبعض البيوت ، ومع ذلك فمن الخطأ أن نقفز الي النتائج ونقول انه يملك المدينة كلها، فإن المدينة ملك للشعب الذى يعيش فيها ، وهو شعب حر أبى ، وقد انتخب الأهالى جيمس ويليام كالفن عمدة لهم مرارا كثيرة وفى نيتهم أن ينتخبوه لكي يكون عضوا فى مجلس الشيوخ ، لا لأنهم يعملون تحت امرته ، ولكن لأنهم جميعا يحبونه ويجلونه ، وليس بينهم من يحسده على نجاحه ، فأنه كان يستحق ذلك ، وهم يعرفون ذلك كل المعرفة لأنه كد وكدح واكتسب احترام الجميع بجده ونشاطه .

ويقع بيت مستر ويليام على مسافة قليلة من مكتبه ، وهو متزوج وأب لبنتين ، ويقوم على خدمته طاه ممتاز، ويسرهم جميعا أن يعدوا له فنجانا من القهوة فى الضحى ، ولكنه على الرغم من ذلك يؤثر أن يعبر الطريق الى مقهى توربيفول ، وأن يرشف قهوته هناك ، وقد توقف بعتبة المقهى فى ذلك اليوم وراح يتحدث مع صاحبها، وحين أخذ مجلسه أخيرا فوق المقعد المرتفع الذى أمام البار صب له الساقى قهوته فتذوقها فى حذر ، ولكنه لم يلبث أن وجدها كما يشتهيها ويحبها وقال يخاطب الساقى :

ـــ أرى أنهم حدثوك عن ذوقى .

أجاب الرجل وهو يبتسم :

ـ نعم يا مستر جيزى إنهم حدثونى عنه ، وكان له وجه أحمر وابتسامة متعبة ، وأقبل رجل نحيف له وجه شرس وشعر أشيب فجلس بجوار ويليام قائلاً :

ــ هل استقر رأيك يا جيسى ؟ ماذا تريد أن تكون ؟ الشيخ ويليام عضو مجلس الشيوخ أم القاضى ويليام ؟

كان ذلك الرجل هو الشريف توم هويلر ، وهو رجل دمث الأخلاق حسن المعشر، وإن كان ثرثارا كثير الحديث ، وأجاب ويليام وهو يحتسى قهوته :

ــ ستكون أنت أول من يعرف ، ولكن هناك شئ يهمنى أكثر من غيره وهو أننى لا أميل إلى الاقامة فى العاصمة فأنني ريفى قح .

طلب الشريف كوباً من اللبن وفطيرة وقال :

ــ وفيم يضيرك هذا ؟ أن أعضاء مجلس الشيوخ لايجتمعون إلا مرة كل سنتين .

وتناقشا فى الأمر وهما يشربان ويأكلان .

وتوقف ويليام بالباب ، وقال يخاطب هويلر وتوربيفول :

ــ من هذا الساقى الجديد ؟ يخيل لى أننى رأيته قبل اليوم .

هز كل منهما رأسه ، وفي الناحية الأخري من البار راح الساقى يقطع قطعة من الجبن وهو يغنى قائلا :

(عين المولى تراك فى علاه   وترى ما أنت فاعل)

ابتسم الرجال الثلاثة ، ومسح توربيفول ذقنه الضخمة وقال :

ــ أنه رجل ساذج ، ولكنه يقوم بعمله كما ينبغي وهو يدعى جيمى .. أتانى به الواعظ أمس .

هز ويليام رأسه ومضى فى طريقه وهو لايزال يخامره إحساس بأنه سبق أن رأى الرجل .

لم يكن مستر جيسى من أهالى مدينة كالهون ، فقد أقبل الى البلدة منذ نحو ثلاثين عاما وفى جيبه خمسة آلاف دولار، واشترى مزرعة صغيرة وجرارا، وكان المزارعون لايزالون يستخدمون البغال والثيران ، فلما رأوا نجاح ويليام جيسى فى مزرعته اقتنعوا كلهم باستخدام الجرار .

و لم يعرف أحد عن ماضيه شيئا، و لم يتكلم هو إلافيما ندر، وكان كل ما عرفه الأهالى

عنه هو انه نشأ فى مزرعة ، وأنه اشترك فى الحرب العالمية الأولى، وانها انتهت قبل أن يدلى فيها بدلوه ، ومات له أخ منذ سنوات عدة وسافر للاشتراك فى جنازته ، و لم يغادر المدينة بعد ذلك إلا فيما ندر .

وفى كل صباح ، عندما يجلس فى المقهى لاحتساء قهوته كان يخامره احساس عجيب إذ تنتعش ذاكرته وهو ينظر إلى الساقى يمارس عمله وهو يغنى ، ويخيل اليه أنه سبق أن رأى هذا الوجه من قبل .

وابتسم جيمى ابتسامته المعروفة وهو يعد القهوة وقال :

ـــ ان ابنتيك جميلتان يا مستر ويليام ، وقد استقلتا الأتوبيس إلى (ثرى سبرنجز) ، صباح اليوم ، ولاريب أنهما فخورتان بأن لهما أبا مثلك يرشحه الأهالى عنهم .

كانت نية جيسى قد استقرت على أن يكون قاضيا للمدينة ، ومهما يكن فإن أصدقاءه قالوا له وهم يداعبونه بأن هارى ترومان بدأ حياته قاضيا قبل أن يغدو عضوا فى مجلس الشيوخ ، وانه أصبح بعد ذلك رئيسا للولايات المتحدة كلها .

قال جيسى :

ـــ وأنا فخور بهما.

ومرة أخري نظر إلى الساقى فاحصا فخفض هذا عينيه فى حياء ، وسأله جيسى :

ـــ هل كنت تمارس الملاكمة يا جيمى ؟

ذلك ان وجه جيمى كان منتفخا، تدل قسماته على انه تلقى الكثير من اللطمات فى حياته ، وتنحنح جيمى ولكن الشريف تولى الرد عنه فقال :

ـــ إن العلامات التى على وجهه ليست من تأثير الملاكمة ، وإنما هى من تأثير ضرب حراس السجن له ، اليس كذلك يا جيمى ؟

أومأ الساقى وقد أكفهر وجهه وقال :

ـــ ظننت أنتى رجل شديد المراس فى تلك الأيام ولكنهم كانوا أشد منى مرأسا .

وضحك كما لو أن شخصا ما قد داعبه واستطرد الشريف يقول :

ـــ لقد عفا المحافظ ت . ا . أنسترووزر عنه لمساهمته فى اطفاء الحريق الكبير الذى شب فى السجن ، وفى انقاذ ثلاثة من الحراس أغمى عليهم من جراء الدخان .

راح ويليام يهز رأسه وهو ينصـــــت إلي القصة ، وأخيرا خاطب جيمى قائلا :

ــ خيل لى أن وجهك مألوف لى ، ولاريب أننى رأيته فى الصحف فى ذلك الوقت .

قال السجين السابق فى غير اكتراث :

ــ كنت شرسا فى شبابى ولعله كان فى مقدورى أن أستقيم وأن أتزوج وأن يكون لى أسرة كريمة الآن .. مثلك أنت يا مستر جيسى .

والتقت عيناهما ، واستطرد الساقى يقول وهو يخفض عينيه :

ــ لو أننى تزوجت ووقعت فى المشاكل بعد ذلك لخجل منى أولادي بالطبع ، ولكن ليس هناك ما يحمل ابنتيك على أن تخجلا منك يا مستر جيسى ..

وفى الخارج دفعه الفضول الى أن يسأل الشريف :

ــ لماذا زج بهذا الرجل فى السجن يا توم ؟ هل تعرف السبب ؟

فكر الشريف ثم قال :

لقد حاول الهرب ، وقد أطلعنى هو على ذلك فضوعفت مدة سجنه ولكن هل تعنى لماذا ذهب إلى السجن أصلا؟ اظن أنه أطلق الرصاص على شخص فى حادث ما ، أنك من مدينة كروكشانك ، أليس كذلك ؟

واستطرد يقول عندما أومأ ويليام برأسه بالإيجاب :

ــ حسنا، لقد وقع هذا الحادث هناك .. فى أوائل العشرينات واسمه بالكامل جيمس بكستون .. هل سمعت عنه ؟

لم تمنع ميز ليزى ، كما يدعو الجميع زوجة جيسى ، زوجها من الاحتفاظ بزجاجة من الخمر فى بيته ، وكانت تقول :

ــ أنني لا أريده أن يشرب فى الخفاء ، ولكن لم يكن ذلك يعنى أن زوجها يفرط فى الشراب فى البيت أو فى أى مكان آخر ، ولكن ميزليزى كانت تميل الى المبالغة بعض الشئ ، وفى تلك الليلة صب جيسى لنفسه كأسا من الويسكى مخلوطا بالماء قبل أن يمضى إلى مخدعه بنصف ساعة وجلس يحتسيها فى بطء .

مدينة كروكشانك ؟ كانت مدينة صغيرة فقيرة اقتطعت كل أخشابها و لم تزرع ثانية..

وقد حدث ذلك فى وقت بعيد .. جيمس بكستون .. تذكره ويليام .. كان بكستون قد

سرق مهايا بعض عمال التراحيل ، و لم تكن مبالغ جسيمة فى مجملها، وقد طارده الناس فأطلق النار وأصاب أحد مطارديه ، إصابة غير قاتلة ثم اختفى ، وراجت الاشاعات والأقاويل بعد ذلك فقيل أنه ترأس عصابة وانه ينوى السطو على البنوك المحلية والمحلات التجارية ، وقد اتضح أن كل هذه الاشاعات كاذبة ولكنها دفعت المسئولين إلى أن يعلنوا عن خمسة آلاف دولار مكافأة للقبض عليه ، واتفق أن كان الرجل الذى أخد تلك المكافأة هو جيمس ، ويليام .

أفرغ جيسى كأسه ثم صب لنفسه كأسا أخرى مخلوطة هذه المرة بقليل من الماء ، لقد مر على ذلك ثلاثون عاما لم يشر أحد أمامه إلي قضية بكستون أبداً، و لم يعرف أحد عنها شيئا ، فقد حدث ذلك فى مدينة أخرى نائية و لم يعرف إنسان أن أصل ثروة جيمس ويليام هي المكافأة التى حصل عليها ثمنا للقبض على بكستون ، ولكن هناك خطر الآن فى أن يعرف الجميع هذه القضية .

حاول جيسى أن يتذكر ملامح الرجل كما كانت منذ ثلاثين سنة ليقارن بينها وبين ملامح الساقى بمقهى توربيفول ، ولكن كل ما تسنى له أن يفعل هو أنه خيل له أنه رأى الرجل من قبل ، متى بدأ يفكر فى جيمس بكستون آخر مرة ، لم يستطع أن يتذكر ذلك أيضا، فإن هذه القضية لم تلح على ذهنه أبدا أو تثقل على ضميره ، فقد أخذ المبلغ وجاء إلى كالهون ، وكد وكدح وتزوج وكون له أسرة، وكان منهمكا دائما بحيث لم يجد وقتا لكى يفكر فى الماضى .

ابنتاك .. لاريب انهما فخورتان بأبيهما.. كانت هذه هى كلمات بكستون ليس هناك ما يحملهما على الخجل منك .

كان تعبير عينيه غريبا وهو ينطق بهذه الكلمات ، وإذ تذكر ويليام ذلك تملكه الخوف وسرت الرعدة فى بدنه ..

ماذا فى ذهن بكستون .. ولماذا جاء إلى هذه المدينة بالذات ؟ إنه لم يأت إليها صدفه واتفاقا، وهذا أمر أكيد ، ماذا يدبر ؟ هل يريد أن يطالبه بمال .. أو هل يريد ممارسة التهديد تعويضا عن السنوات التى قضاها فى السجن وعن الضرب الذى لقيه ، والحياة القاسية التى عاناها خلف القضبان الحديدية السنين تلو السنين ؟ أو هل يفكر فى انتقام

آخر بطريقة أخرى أكثر مباشرة .. طريقة عنيفة .. كأن يطلق رصاصة فى الظلام ، وسرت الرعشة فى بدنه مرة أخرى وتقلصت أصابعه حول الكأس .

ان بكستون تكلم عن ابنتيه .. تكلم عنهما مرتين ، فهل كان ذلك عمدا ؟ وإذا كان الأمر كذلك فما الذى يستطيع جيسى أن يفعله ؟ هل يتحدث الى الشريف ويطلب منه حماية القانون .. ونهض واقفا ولكنه لم يلبث أن عاد فجلس على الفور .

إنه إن تحدث إلي الشريف فلابد أن يكشف له كل شئ ، لم يكن بكستون مطلق السراح مؤقتا، و لم يقطع على نفسه عهدا بالعودة إلى سجنه ، ولكن المحافظ أصدر عنه عفوا تاما ، ثم أن الرجل لم يهدده بطريقة سافرة ، و لم ينتهك القانون.. سيقول له الشريف فى استغراب (ولكننى لا أفهم يا جيسى لماذا يريد الرجل أن يؤذيك أو أن يؤذى ابنتيك)، ولابد له أن يرد عليه عندئذ ويقول له (لأننى منذ ثلاثين سنة تحدثت مع شريف مدينة كروكشانك كما أتحدث معك الآن ، وقلت له أن جيمس بكستون ، مختف فى حظيرة عمه وقد ذهب الشريف مع ثلاثة من معاونيه وألقوا القبض عليه بعد أن دارت معركة بينهم وبينه وحوكم بكستون وأدين ، وحصلت أنا على خمسة آلاف دولار أصبحت ملكى بحكم القانون .

إذا حدث الشريف بكل هذا فسوف يحصل على الحماية المطلوبة ، وسيزول خوفه ولكن ستنتهى حياته السياسية كذلك .. وستنتهى حياته كزعيم للبلد ، وذلك لأن جيسى يعرف القوم الذى يعيش بينهم ، لن يتهمه أحد علانية ، ولن يسخر أحد منه أو يبصق فى وجهه ، ولكن لن يحييه أحد أو يبتسم له بعد ذلك أبدا ، ولن ينتخبوه بالطبع ، وأنه ليستطيع أن يسمعهم وهم يتحدثون ، كل منهم مع الآخر ويعرف ماذا يمكن أن يقولوا. لو أنه ارتكب جريمة قتل أو قارف جريمة الزنا ، لغفروا له ، أما أن يخون الأمانة ويرشد عن صديق نظير مكافأة مالية فهذا مالا يمكن أن يغفروه له أبدا .

ولكن كل هذا تلاشى من ذهنه عندما رفع رأسه عن كأسه ونظر الي ساعة الحائط ونادى زوجته ، وكانت تذهب دائما فى مثل هذا الوقت من كل ليلة إلى المطبخ ، وتعد لنفسها كوبا من اللبن الساخن ترشفه وهى تقرأ اصحاحها الليلى من الانجيل ، قال :

ـــ ليز .. أين البنتان ؟.. وكيف انهما لم تعودا حتى الآن ؟

نطقت بشئ لم يفهمه ثم جاءت إلى الباب ، وكانت قد ارتدت ثياب النوم وتجعد شعرها فى خصلات كثيرة وقال :

ــ ولن تنتهى قبل منتصف الليل .

ألقى كأسه فى عنف وقال :

ــ ما هذا الذى لن ينتهى قبل منتصف الليل .

حملقت فيه وفتحت فمها عاتبة وهزت رأسها ثم قالت :

ــ لا أدرى ماذا بك منذ أن عدت إلى البيت يا جيسى.. بل انى أظن أنك لم تع كلمة واحدة مما قلت لك، حاول أن تركز ذهنك وسأخبرك بالأمر مرة أخرى إنهما ذهبتا لحضور الحفلة السنوية التى تقيمها الكلية لجميع الطلبة والطالبات (وعبست واستطردت) ، ولا أدرى لماذا تنظر إلى هكذا ، فليس هناك داع للقلق أو الجزع ، ان الواعظ بويل .

وعند كلمة الواعظ انطلق قطار من الخوف فى ذهن جيسى وحاول يائسا أن يعرف السبب .. لماذا أثار اسم الواعظ خوفه بهذه الصورة .

وراحت زوجته تقول وهى تنظر إليه فى حدة :

ــ اعترض على ركوب الطالبات فى سيارات الطلبة وقال إن هذا ليس سليما ، بل انه مناف للآداب ، وأنه قد يخطر لبعض الطلبة ان يختلوا بالفتيات فى مكان ما أو من يدرى، واتفق أخيرا على أن يذهبوا جميعا فى اتوبيس المدرسة ، وقد سمعت أن بعض الفتية ساءهم ذلك ولكن .

طار لب جيسى وأحس فجأة بأنه واثق من شئ بالذات وصاح فى ذعر :

ــ رباه .. من الذى يقود الاتوبيس .. ذلك انه كان يعرف أن سائق الأتوبيس الأصلى يعمل عملا إضافيا من الساعة السادسة حتى منتصف الليل فى إحدى المزارع .

سألته زوجته جازعة

ــ ما الخبر ؟

ــ من الذى يقود الأتوبيس ؟ هزت رأسها مشدوهة وبللت شفتيها :

ــ إنه ذلك الرجل الأحمر الوجه.. ما اسمه.. لقد ذكر الواعظ اسمه ولكننى لا أتذكره ، وقال أنه يعمل فى مقهى توربيفول .. ان بوجهه آثارا متخلفة عن الضرب .

وقفوا فى مكتب الشريف يتبادلون النظرات فى صمت وقال الشريف للمرة العاشرة تقريبا :

ـــ " اللعنة ".

وقال الواعظ ، وهو رجل واهن ذو عينين مكدوتين تنطقان بصراعه الطويل مع الشيطان :

ـــ لاتقلق أيها الأخ ويليام .. وأنت أيضا أيتها الأخت .. انىَ واثق أن الأخ بكستون مهما يكن ماضيه ..

تحول جيسى عنه ومضى إلى النافذة وأطل منها فى حين استطرد الواعظ يقول :

ـــ عنصر طيب ، وما كنت لأقلق لو أننى كنت مكانكما .

قالت ليز :

ـــ وفوق ذلك فهما ليستا وحدهما ولن يدعه كل هؤلاء الطلبة يقدم على شئ .

استدار زوجها إليها وقال :

ـــ قد لاتواتيهم الفرصة لمنعه .. أنه يستطيع (تقلصت أصابعه لمجرد الفكرة ولكنه راح يقول) أن ينطلق بالأتوبيس الى مكان ناء بعيدا عن الطريق العام أو ..

وأسرع إلى زوجته فأخذها بين ذراعيه قائلا :

ـــ اوه .. فليفعل بى أنا ما يريد ولكن ليترك الفتاتين وشأنهما .

قال الواعظ يخاطب الشريف :

ـــ متى تظن ان معاونيك سيلحقان بالأتوبيس ؟

نظر الشريف إلى ساعته وفتح فمه لكى يتكلم عندما صلصل جرس التليفون فتناول السماعة ، و لم يلبث أن توتر وجهه وهو يصغى، ونظر إلى ويليام ثم أشاح بوجهه بعيدا، وألقى سؤالا فى صوت خافت ثم قال :

ـــ إننى قادم فورا .

وتقدم الجميع إلى الأمام ، وأمطروه بالأسئلة وهم يتبعونه فقال :

ـــ هلموا بنا إلى السيارة .

ثم هز رأسه ودفعهم خارج المكتب قائلا :

ـــ سأذكر لكم ما أعرفه أثناء الطريق .

كانت ليلة مظلمة ، وكانت هناك عربات قليلة تنطلق فى الطريق ما بين لحظة وأخرى ، وانطلقت سيارة الشريف بأسرع ما يمكن .

سأله جيسى وقد هدأ الآن عما كان منذ لحظات :

ــ هل قال فتاة أو فتيات ..

وبكت زوجته وهى معتمدة على كتفه ..

أجابه الشريف توم هويلز :

ــ يبدو أن الرجل تحدث عن فتاة معينة، و لم أشأ أن أضيع الوقت فى السؤال ، قال ان اتوبيس المدرسة توقف على مقربة من محطة البترين التى يملكها، وأن الطلبة والطالبات كانوا يصيحون ويصرخون ، وان فتاة أصيبت بطلق نارى ، وان السائق وبعض الفتية يتعاركون ، هذا كل شئ .

أطلق الواعظ تنهيدة كبيرة وقال :

ــ مازلت لا أصدق أى سوء عنه .

قال ويليام دون أن يزاوله هدوءه :

ــ أننى أعرف أنه جزائى جزائى على خطيئتى، إن الانجيل يقـــــول : (لايجب أن تخون الهارب) ، أوه أن الأمر مختلف معك أنت ياتوم ، فإنك تقوم بعملك ، أما أنا فقد فعلت ما فعلت من أجل النقود ، حسبت انها فرصتى ، وكنت أعرف أين يختبئ و لم أجد أية فرصة لكى أحصل على خمسة الآف دولار، وما أن فعلت مافعلت حتى نسيت أمر بكستون كما لو أنه لم يعش أبدا ، و لم أفكر كيف يعيش فى سجنه .. كالفئران .

وبلغوا محطة البترين أخيرا، وكان الطلبة متجمعين حول الأوتوبيس وهم يتحدثون فى أصوات خافتة ، وتقدم أحد رجال الشرطة التابعين لثرى سبرنجز إلى الوافدين الجدد وقال :

ــ أوه .. ان الأمر ليس خطيرا ، ان الرصاصة خدشت كتفها ولكنها أصيبت بالهستيريا .

سأله جيسى وهو يدور بعينيه بين الطلبة من منهما ؟

وقالت زوجته فى اضطراب :

ــ أهى جريس أم هيلين ..

رمش الشرطى فى دهشة وقال :

ــ ان اسمها كما فهمت هو نانسى .. نانسى فانشام ، وقد أرسلتها الى ثرى سبرنجز فى عربة الدكتور، إنهم فى الداخل أيها الشريف ، فى محطة البترين .

ومضى الشريف معه ودخل معهما الواعظ هو الآخر .

ــ أهذاا أنت يا أبت .. ماذا تفعل هنا ؟

ــ أهذه أنت ياجريس .. أن أمك جاءت هى الأخرى .

ثم فقد جيسى هدوءه وهو يضم ابنتيه إليه .. وبدأ يبكى وتحدثت الأم الى البنتين تفسر لهما الأمر ، وجاء الشرطى وطلب من جيسى أن يرافقه .

كان بكستون بداخل المحطة مع الشريف والواعظ وطالبين وصاحب محطة البترين والشرطى وجيسى ويليام ، و لم تكن هناك أية تعبيرات على الوجه الخشن الملامح وهو يرى ويليام وإنما أومأ برأسه فى بطء .

وكان أحد الطالبين يقول :

ــ لم يكن فى نيتى أبداً إصابتها أو إصابة أى أحد آخر وإنما أخذت المسدس .

وأشار برأسه إلى حيث المسدس ، وكان موضوعا فوق المكتب ، وهو مسدس صغير جدا يبدو كأنه لعبة صغيرة ، وكان مرصعا بالصدف وقد تحطم أحد جنبيه .

ــ أخذته لكى أطلق رصاصة من النافذة .

ونفذت إلى ذهنه فكرة فجأة فقال :

ــ أنه ملك لابى ، وإذا عرف اننى أخذته فلن أنجو من الضرب .

ورفع رأسه وراح يبكى ، وتقدم الواعظ نحوه ، وألقى يده على كتفه ،وهمس فى أذنه بشئ ، وبدا الفتى الآخر يتكلم ، وكان شاحب الوجه ترتعش شفتاه ، ولكن عينيه لم تفارقا الفتى الذى أخذ المسدس ، وانحنى الى الأمام وقال :

ــ إذا حدث شئ لنانسى ..

رفع جيمى بكستون يده يرد الفتى ، فى حين عاد هذا يقول :

ــ إذا كانت اصابتها خطيرة .

قال بكستون :

ـــ إن اصابتها طفيفة ..

إذا ماتت .

قال بكستون :

ـــ هراء أنها ستتناول إفطاراً شهيا غدا صباحا .

ـــ اذا حدث شئ لنانسى فانى سأقتلك .. أقسم بالله سأقتلك حتى ولو اقتضانى ذلك البقاء فى السجن عشر سنوات .

ـــ إنما أردت إخافتهم فقط .. أردت مداعبتهم .. أخذت المسدس ولكن الأوتوبيس أهتز فجأة فانطلقت الرصاصة .

ـــ إذا كان ولابد لى أن أشنق أو أن أقضى بقية حياتى فى السجن فإننى لابد أن أقتلك إذا ماتت .

استدار بكستون بحيث واجه الفتى صديق نانسى ، وأخذ يضربه بيده على صدره فى رفق فتحول هذا عن الفتى الآخر ونظر إلى بكستون الذى قال :

ـــ اصغ الى ، إنك تتكلم عن السجن .. وتتكلم عن القتل ..اصغ إلى .. أنك لم تذهب إلى السجن أبداً ، أما أنا فقد قضيت كل حياتى فيه .. اقدمت على أشياء شريرة وأنا فى مثل سنك ، وكان من الانصاف والعدل أن زجوا بى فى السجن .

وأمســك عن الحديث لحظة ، وفى الخارج كانت هناك همسات صادرة من الطلبة ، ولكن لزم الجميع الصمت فى المكتب ، وقال بكستون :

ـــ غير أن هناك شيئا واحدا لم أطق التفكير فيه .. جعلنى أكاد أجن وهو كيف عرفوا مكانى وألقوا القبض على ، ان رجلا أعرفه ، رجلا واحدا لم أكن أعرفه معرفة جيدة وأن كنا قد شببنا معا منذ الطفولة هو الذى أرشد عنى وغدر بى من أجل المال .

التقت عينا جيسى بعينى الشريف ، وتنحنح ويليام قائلا :

ـــ جيمى ..

ولكن السجين السابق لم يلتفت إليه و لم يبال به ، واهتز الفتى قليلا ولكنه لم ينطق واستطرد بكستون :

ـــ وعندما كانوا يجلدوننى كل مرة .. وكان هذا يحدث كثيرا.. وليس كما سيفعل والد

ذلك الفتى، ولكن بسوط كبير ذى شعب تنتهى بقطع من النحاس، كنت أفكر فى ذلك الرجل الذى تسبب فى سجنى .. كنت أفكر فيه ليلا ونهارا.. إنك تتكلم عن القتل ولاتعرف ما هو الأمل الذى يغلى فى صدرك للانتقام سنوات طويلة ، وحاولت الهرب لكى أنتقم من ذلك الرجل ولكنهم أمسكوا بى وضاعفوا مدة عقوبتى .. وضاعفوا الجزاء .

"وكان تفكيرى فى إيذاء ذلك الرجل الذى تسبب فى ضربى وسجنى حملا ثقيلا كنت أحمله ليل نهار.. حملا كان يثقل على ويؤلمنى كل الألم .

" وذات يوم لم أستطع الاحتمال أكثر من ذلك فتخففت من حملى .. وضحك منى بعض المساجين الآخرين وسخروا لتوبتى، ولكننى لم أبال بهم وعلى الرغم من إننى كنت لا أزال فى السجن فقد أحسست بانى أصبحت حرا.. سامحت ذلك الرجل ، وما أن فعلت ذلك حتى تحررت من ألمى ".

وفجأة بدا أنه تذكر أين هو، فابتسم وخفف ضغطه على الفتى، وزمجر هذا الأخير وعاد اللون إلى وجهه وابتسم فى بطء وقال بكستون :

ـــ هالوا .. كيف حالك أيها الواعظ .. وأنت أيها الشريف .. وأنت يا مستر جيسى .

قال الشريف :

ـــ حان الوقت لكى نصطحب هؤلاء الفتية إلى المدينة ، أن أهلهم قلقون ويسألون عنهم فى التليفون .

وقال ويليام :

ـــ جيمى .

ـــ نعم يا مستر جيسى .

ـــ ذلك الرجل .. الذى خانك .

ولكن شخصا آخر سبقه إلى تتمة قوله فإن الفتى صديق نانسى مسح كتفه بيده وقال :

ـــ ما كان اسمه ؟.

بدت الدهشة على وجه بكستون الشرس ثم ابتسم وقال لا أدرى وبدا صوته سعيدا ونظر إلى الجميع وقال :

ـــ لا أذكر .. على أن هذا لا أهمية له ، إننى ألقيت حملى عن كتفى ولا أريد أن التقطة ثانية .

وأومأ اليهم وخرج فى الظلام وسمعوه يقول :

ـــ مكانكم فى الاتوبيس .. ليأخذ كل منكم مكانه ، قال الشريف :

ـــ هلموا بنا .

وتحاشى النظر إلى جيسى ، ونهض الطالبان لمغادرة المكتب وقال الشريف :

ـــ من الأوفق أن تستقل انت وليز الاتوبيس مع ابنتيكما ، فلا أظن أن المكان يتسع لكما فى السيارة .

ومضى الجميع إلى الباب وخرجوا .

قال أحد الطالبين يخاطب الآخر:

ـــ سامحنى على مافعلت .. لم أعن ذلك حقا ..

وكان ويليام آخر من غادر المكان .. انحنت كتفاه وبدا مرهقا جدا.ومشى فى بطء كما لو كان يحمل حملا ثقيلا .

* * * *

الفصل الثانى

لاريب أن الرباعى الذى اشترك فى هذه العملية البالغة الخطر والشديدة التعقيد كان شاذا وعجيبا، ولكن الواقع أنه كان لكل منهم خبرته الخاصة وكان كل منهم يعرف مهنته وقيمته حق المعرفة ، فقد كانت هذه العملية تساوى أكثر من مائة وعشرين ألف دولار، وهى مجموع مهايا تلك المؤسسة ، ولهذا وضع كل منهم تأففه جانبا وأقصى عنه كل عداء وبغضاء وصمم على تنفيذ حصته من العمل بكل كفاءة وكل قدرة .

كانت العملية من وضع ماك نايت ، فقد قضى الأسابيع الطويلة فى المراقبة وفى رسم الخطة ، ثم قضى أسابيع أخرى فى اختيار رجاله ، وفى مراجعة دورهم فى اصراره على الكمال كما لو كان مخرجا مسرحيا .

كان الكومودور هو الأقرب إلى ماك نايت من حيث المظهر والطباع، فقد كان متوسط السن أنيقا يبدو عليه الوقار ويكسبه وجهه وشاربه الكث مظهر عالم من العلماء ، ويعرف باسم الكومودور لأنه قضى بعض الوقت فى البحرية ،خلال الحرب العالمية الأولى .

ويأتى بعده نوبى هندروسون ، وهو عامل سابق بالميناء أحيل إلى المعاش ، ويتميز بقوة خارقة ، ويبدو عنقه الضخم البارز من رقبة البلور كجذع شجرة ، وكان من النادر أن ينطق بكلمة ، مكتفيا بأن يترك للأخرين ، وعلى الأخص ماك نايت ، مهمة التفكير والحديث نيابة عنه .

أما العضو الرابع من الجماعة فقد كان يعرف باسم آل برونسون ، وهو قاتل محترف

عصبى المزاج، سريع الغضب، وقد اشترك فى العملية لا لشئ إلا لأن ماك نايت أحس باعتبار كبير لمواهبه ، وقبل برونسون العرض الذى تقدم به ما ك نايت ورضى أن ينضم إليه لأنه كان يشعر بتقدير كبير لآراء ماك نايت وأفكاره .

ورضى الكومودور ، بسبب أناقته ووقاره أن يتصادق مع موظفى المكتب الذى ستقع فيه السرقة ، وذلك أثناء الأسابيع الثلاثة السابقة للعملية ، متذرعا بأنه يريد أن يعقد معهم بعض الصفقات التجارية ، ولهذا بدا قدومه إلى المكتب فى ذلك الصباح طبيعيا وبينما كان يشغل الموظفين بالثرثرة معهم فى مختلف المواضيع ، كان يراقب بركن عينه أعلى السلم الذى وقفت العربة المصفحة فى أسفله ، ورأى الحراس وهم يدخلون يأكياس الأوراق النقدية .

وخاطبته أحدى الموظفات قائلة :

ها قد جاءت مرتباتنا.. إننا مضطرون أن نطلب منك الأنصراف الآن .

ابتسم الكومودور ابتسامة رقيقة وقال :

ـــ لايجب اغراء الناس وأبطأ لحظة أخرى وهو يمضى نحو الباب ، وسمع الحراس يتقدمون فى الطرقة ، ولم يكن هناك أى ريب فى أن ماك نايت وبرونسون كانا خلفهما ومسدساهما فى جيبيهما ، وتوافق وصوله إلى الباب مع وصول الحراس إليه ، وتقدمت إحدى الموظفات لكى تغلق الباب خلفه ، ولكن الكومودور تلكأ لحظة أخري ، محتفظا بالباب مفتوحا فى نفس الوقت الذى عبر فيه زميلاه الطرقة وتواجدوا جميعهم فى الغرفة شاهرين مسدساتهم فى أيديهم ، وباشروا عملهم كالآلة المضبوطة والدقيقة واستولى ماك نايت وبرونسون على النقود فى حين أخذ الكومودور يوثق الموظفين والحراس ثم حمل ثلاثتهم الأكياس التى تحتوى على النقود وأسرعوا إلى السيارة التى كان نوبى ينتظرهم فيها تاركا المحرك دائرا .

وقاموا بتنفيذ الجزء الثانى من خطة ماك نايت ، بعد ذلك فإنه بعد أن زار المنطقة وفحصها فحصا دقيقا وقع اختياره منذ بضعة أسابيع على فندق معروف باسم فندق ديبان ، وتملكه مسز هويلر فى جبال نيو مبشاير ، وقد ذكرت له مسز هويلر الرقيقة ، ذات الشعر الأبيض أن الفندق يغلق أبوابه دائما يوم ١٥ أكتوبر من كل عام ، ولكن ماك نايت استطاع أن

يقنعها بأن تترك الفتدق مفتوحا لمدة أسبوعين آخرين بعد هذا التاريخ لكى يترل به هو وثلاثة من أصدقائه لقضاء أجازهم فى وقت واحد ، خاصة وإنهم ينشدون مكانا هادئا ومريحا فى عزلة عن الجميع .

وتم الاتفاق على ذلك ووعدته مسز هويلر أن يبقى الفندق مفتوحا وأن لاتقبل أى نزلاء وأنها ستحرص على خدمتهم هى وأولادها الثلاثة:ادجار وهومر وبلو، وقد أصر ماك نايت على أن يرى الأولاد الثلاثة واستطاع أن يقيمهم تماما، كانوا هادئين يدل مظهرهم على أنهم لايتمتعون بذكاء كبير وعاد ماك نايت إلى المدينة وأطلع أصدقاءه على ماتم ، وكان الكومودور هو الوحيد الذى أبدى موافقته كما كان برونسون هو الوحيد الذى اعترض على ذلك ، ولكن ماك نايت والكومودور، رجحت كفتهما عندما هز نوبى كتفه علامة على الموافقة .

وبناء على ذلك وبعد أن ظلوا ينطلقون طوال الليل ألفوا أنفسهم أخيرا فى طريق متعرج أفضى بهم الى الفندق فوق منحدر الجبل ، و لم يلتقوا فى طريقهم بأى أحد، و لم تقع عيونهم على بيت واحد خلال الكيلو مترات الثلاثة الأخيرة من رحلتهم .

قال ماك نايت وهو يرى المناظر التى تمر أمام أعينهم :

ـــ جميل .. كل شئ هنا جميل .

قال برونسون وكان يجلس بجواره :

ـــ إنما هو جميل بالنسبة للبوم والسنجاب .

كان الديكور يملأ نفس المسكين بؤسا وشقاء .. عقد ذراعيه وجلس لايتحرك وراح ينظر مليا أمامه فى حزن وأسى، كانت قبعته العريضة الحواش وربطة عنقة الحريرية البيضاء وقميصه الأسود المنقوش عليه الحروف الأولى من اسمه .. كان كل ذلك يبدو غير منسجم مع هذا المنظر الرائع .

وقال ماك نايت فى رفق :

ـــ لاتحزن يا برونسون إن هواء الريف سيصيبك بأكبر الخير، انتظر حتى تأكل فطير التفاح الذى تصنعه مسز هويلر .

وفى آخرالعربة راح الكومودور يضحك، أما نوبى فقد لزم الصمت، فإن شعوره نحوه كان

أشبه بشعور برونسون وان كان مختلفا عنه بعض الشئ لأنه كان يشعر بالحذر والارتياب لأن الطبيعة والأشجار كان فيها شئ يفلت منه ، ولهذا لم ينطق بأى نقد .

قال ماك نايت :

ــ هل أستطيع أن أعيد إلى ذاكرتكم ان الغرض من كل هذا هو أن نبقى هنا وأن نستجم لمدة أسبوعين ؟ المفروض أننا أربعة رجال من رجال الأعمال بنيويورك وأننا ننشد الراحة فلا ينبغى أن نقدم لهؤلاء الريفيين أية فرصة للشبهة فينا.

قال برونسون وهو يشير إلى بونى بإبهامه فى سخرية :

ــ وكيف يمكن أن تزعم انه من رجال الأعمال ؟

صاح بونى وهو ينحنى إلى الأمام ويضع يديه الضخمتين على مسند المقعد الأمامى :

ــ احترس فى اختيار كلماتك .

وقال ماك نايت :

ــ هذا شأنى أنا ، ان نوبى ليس غبيا أليس كذلك يا نوبى ؟ إنه يعرف كيف يتصرف .

واستطرد يقول :

ــ وإذا أردت الصراحة يا برونسون فأنت الذى تثير قلقى ، انك متشكك بطبعك ،وسيروق ذلك لهؤلاء الناس ، فهم يحبون الأرض ويحبون البشر وأحسن وسيلة لارضائهم هى أن نقلدهم ، إن الوسيلة الوحيدة لضمان هؤلاء الناس ونيل عطفهم هى أن نعكس صورهم هم بالذات ، الست على حق يا كومودور ؟

قال الكومودور :

ــ تماما ..

وقال برونسون :

ــ ومع ذلك فسوف أنام ومسدسى تحت الوسادة .

استقبلتهم مسز هويلر وأولادها الثلاثة عندما انسابت السيارة فى الممر ووقفت أمام الفندق ، وتذمر برونسون وهو يرى هومر هويلر يخرج الحقائب من الصندوق الخلفى لأن إحداها كانت تحتوى على المائة والعشرين ألف دولار .

وقالت مسز هويلر وهى واقفة أمام الباب :

ـــ أننا سعداء جدا باستقبالكم ، وفندق ليبان يرحب بكم .

تقدم الكومودور ، ورفع قبعته الرخوة من فوق رأسه الصلعاء وانحنى أمامها قليلا وهو يقول :

ـــ لنا كل الشرف يا سيدتى .

احمر وجه مسز هويلر لفرط السرور ، وعندما تقدمت لاستقبال نوبى نظر الكومودور الى ماك نايت وغمز بعينه غمزه خبيثة ، فى حين عبر نوبى عن سروره وتمتم برونسون ببضع كلمات بين أسنانه ..

وتولت صاحبة الفندق ، وهى امرأة قصيرة القامة ذات شعر أبيض مجعد وابتسامة صبيانية إرشادهم إلى غرفتيهما .

فأسكنت ماك نايت ونوبى فى غرفة واحدة والكومودور وبرونسون فى غرفة أخرى ، وما أن فارقتهم حتى اجتمع الرجال الأربعة فى غرفة ماك نايت .

قال برونسون :

ـــ هل النقود معك ؟

أجاب ماك نايت :

ـــ طبعا .

ـــ حسنا ألا نقتسمها الآن ؟

ـــ بأية مناسبة ؟

ـــ كيف ذلك ، أليست ملكا لنا ؟

قال ماك نايت :

ـــ إن السبب الأساسى لمجيئنا هنا يا عزيزى برونسون هو أننا نريد أن نضمن أمننا وسلامتنا ، وأظن أن خير وسيلة لذلك هى أن نترك النقود كما هى لأن اقتسامها الآن سيشجع أحدنا على مغادرة الفندق قبل الأوان ، وفى هذا أكبر الخطر علينا جميعا .

قال برونسون :

ـــ إننى لا أوافقك على ذلك .

قال ماك نايت وهو واثق من تأييد الآخرين له :

ــ هل تحب أن تلجأ إلى التصويت ؟

أجاب برونسون فى حدة :

ــ انس ذلك ، ولكن ضع نصب عينيك دائما يا ماك نايت ألا تحاول أن تكون أول من تسول له نفسه بمغادرة هذا المكان خفية عن الباقين .

وبقيت الحقيبة الثمينة فى غرفة ماك نايت .

وفى الليلة الثالثة ، كان ماك نايت والكومودور يتجولان فى أرباض الفندق ، وكان الجو رطبا، وكانت السماء تتلألأ بالنجوم وأوراق الخريف تحت أقدامهما ، وقال الكومودور :

ــ أننى شديد القلق من ناحية برونسون .

كان الكومودور يرتدى بدلة أنيقة ومعطفا من التويد وقبعة رخوة وقال ماك نايت :

ــ لاتحفل به فليس هناك من يسانده .

ــ أوه ليس هناك ما يقلقنى من هذه الناحية ، وإن كان فى مقدوره ان يضم صاحبنا الغوريلا إلى صفه ، انما الذى يثير جزعى هو أن أعصابه بدأت تخونه ، فهو لايطيق البقاء فى هذا المكان كما تعرف، وقد يدفعه ذلك إلى عمل أخرق ،ان هؤلاء الريفيين ليسوا سذجا كما تظن .. ربما تكون المرأة العجوز ساذجة ولكننى غير واثق من أولادها فهم متشكككون .

ــ هذا طبع متأصل فيهم .

قال الكومودور :

ــ ولكن كان ينبغى أن يزول فتورهم الآن .. أعنى ماداموا يديرون فندقا ويتولون كل الأعمال الخاصة به .

قال ماك نايت :

ــ أظن أن ذلك لأنهم لايحبوننا أولا ولانهم يشتبهون فينا ثانيا ، ومهما يكن فأننا لسنا من النزلاء العاديين ، وليست لنا حيلة فى ذلك فنحن لانمارس الرياضة ولانتبادل معهم الحديث ، ولانركب الخيل ولانقوم بنزهات أو بأى شئ من هذا القبيل ما ظنك بنزلاء يمكثون فى غرفهم طوال اليوم ولايفعلون شيئا غير تبادل النظرات .

تنهد الكومودور وقال :

ـــ مما يؤسف له انه ليست لنا أية صفات مشتركة ، فلو كان الأمر كذلك لأمكننا أن نقضى أوقاتا رائعة .

قال ماك نايت :

ـــ ولكنك على حق فيما يتعلق ببرونسون ، فأننا لم نقض هنا غير يومين ويخامرنى احساس بأنه ينوى أن يفعل شيئا يستوجب الندم .. لاتنس أن المبلغ جسيم يا كومودور .

وتمنى ماك نايت أن يكون قد نطق بالماعة فطنة .

وقد أدرك الكومودور على الفور، بغريزته الحادة الايحاء الذى يرمى ماك نايت إليه ، وراح يفكر فى الأمر بكل ما أوتى من ذكاء ، ولكنه أراد أن يستوثق أولا فقال وهما يخرجان من غابة الصنوبر إلى الممر الذى يؤدى إلى الفندق .

ـــ نعم انها لتكون ضربة قاصمة لنا لو ان احدا أقدم على خطوة خرقاء، الآن على الخصوص ، وفى إمكاننا أن نتحاشى ذلك ، لا أظنك تقترح أن نقدم لشريكنا المزعج حصته الآن أليس كذلك ؟

قال ماك نايت متحاشيا غموض الكومودور :

ـــ أبدا ، اننى متمسك بخطتى الأساسية ، وإذا أعطينا برونسون نصيبه الآن فسيعود فورا إلى نيويورك وينفق حصته دون حساب ويفتضح امره أنه سيتكلم عندئذ .. و .. حسنا يا كومودور..إنك تعرف الباقى ، ولاحاجة بى إلى الاصرار .

ـــ إننى اوثر الموت عن العودة إلى السجن .

ـــ إننى أفهم مشاعرك .

ـــ ولكنك لاتدرى مداها ياماك نايت ، عندما أقول اننى أوثر الموت فاننى اتكلم بكل صراحة، إن معى قرصا يضمن لى ميتة شنيعة خلال ثلاث دقائق من ابتلاعه ، وفى نيتى أن ابتعله إذا ما ساءت الأمور بدلا من العودة بين تلك الجدران القذرة .

ـــ أرجو أن لاتضطرك الظروف إلى أن تلجأ إلى مثل هذه الوسيلة الأخيرة يا كومودور .

ـــ اننى أريت هذا القرص لهندرسون ، إن الوسيلة الوحيدة للتأثير على رجل له مثل مقدرته المحدودة فى استيعاب الأمور هو أن تريه شيئا ملموسا كهذا .. أردت أن أقنعه بأهمية هذه المسألة لكى يطبق فمه ، وأستطيع أن أقول إن عملى هذا قد احدث أثره .

قال ماك نايت :

ـــ إن نوبى لايزعجنى ، انما برونسون هو الذى يثير قلقى .

وفى صباح اليوم التالى ، وبينما كان ماك نايت يحلق ذقنه سمع طرقة على الباب ثم دخلت مسز هويلر ووقفت على عتبة الباب ويداها معقودتان فوق مئزرها وقالت :

ـــ هل أنت مستعد لتناول الأفطار مع مستر هندرسون ؟

قال ماك نايت :

ـــ بعد خمس دقائق ، هل صحا مستر برونسون والكومودور ؟

ـــ إنهما هبطا مبكرين جدا وخرجا للصيد .

نظر ماك نايت اليها مشدوها وقال :

ـــ خرجا للصيد ؟

ـــ نعم فإن المنطقة تعج بالأرانب البرية، وقد عرض هومر أن يرشدهما إلى الأماكن التى تكثر بها .

قال ما ك نايت :

ـــ ولكن ليس لديهما بنادق .

قالت :

ـــ اننا قدمنا لهما بندقيتين .

راح ماك نايت يفكر ، وسمع طلقات نارية من بعيد وقال :

ـــ لم يحدثنى أى منهما عن هذا مساء أمس .

وتساءل إذا لم يكن الكومودور قد تعمد أن لايشير إلى ذلك اثناء الحديث الذى تبادله معه أمس .

قالت مسز هويلر :

ـــ لقد أوحي الكومودور بالفكرة ، وقد هبطا فى الساعة الخامسة والنصف .

ـــ حسنا هذا جميل إن قليلا من اللهو لن يضرهما .

وبعد أن فرغ من تناول افطاره مضى إلى الشرفة وأشعل سيجارة وتوقع أن يفلح الكومودور فيما يريد، لم يكن واثقا من أى شئ فيما يتعلق ببرونسون ، ولكنه كان يعلم

أن الكومودور يجيد الرماية ، وفجأة توقفت الطلقات النارية التى كانت تسمع من وقت لآخر وتبدو كما لو كانت هزيم الرعد ، وخيم صمت غريب وملموس على الغابة .

وبعد نصف ساعة تقريبا أقبل هومر هويلر وهو يجرى ووقف أمام الدرجات الأمامية للشرفة وهو يلهث وقد جحظت عيناه كما لو كان قد رأى شيئا وصاح :

ـــ مستر ماك نايت .. لقد وقع حادث على مقربة من المستنقع .

سأله ماك نايت فى صوت حاد كما لو كان يلقى سؤاله هذا للمرة العاشرة :

ـــ أى نوع من الحوادث ؟

وألقى بسيجارته وهو يهبط الدرجات ركضاً :

ـــ حسنا ، لقد خرج مستر برونسون والكومودور صباح اليوم لصيد الأرانب .

ـــ أنني أعلم ذلك ، ولكن من الذى أصيب بحق الشيطان ؟

أمسك هومر لحظة واتسعت عيناه وهو يتنفس فى شدة ثم قال :

ـــ مستر برونسون .

كان برونسون ملقي علي وجهه ، فى الطين ، على حافة المستنقع، والكومودور يجلس غير بعيد منه ، فوق صخرة عالية وهو يمسك بالبندقية فى يده كما لو كان راعيا يمسك بعصاه .

ونظر إليهم وهم مقبلون من خلال الاغصان .. ماك نايت ونوبى والأخوة هويار الثلاثة : هومر وادجار وبلو .. أحاطوا كلهم بالجثة وأسنانهم تصطك ومضى ما ك نايت ونوبى إلي الكومودور ، وقال هذا الأخير فى هدوء وبصوت ثابت :

ـــ كنا نصطاد ، وأراد برونسون أن ينطلق من ناحيته ، ومضي نحو المستنقع ، ومضيت أنا إلى الناحية الأخرى ، ورأيت شيئا يتحرك فأطلقت النار ، ولما لم أسمع رداً علي نداءاتي المتكررة عدت فوجدته ، ومضيت نحو الفندق ، والتقيت بهومر فى الطريق فأرسلته إليكم .

نظر ماك نايت إلى برونسون .. وضعه موت الرجل أمام مشكلة دقيقة وتأمله الأخوة الثلاث بوجوه محايدة وهم ينتظرون وسار إليهم وقال :

ـ إننى حزين جدا يا أولادى .

قال هومر فى اكتئاب :

ـــ نعم ياسيدي ، ونحن كذلك .

وقال ادجار :

ـــ هذه دعاية سخيفة للفندق .

وقال ماك نايت :

ـــ أه ... حقا ؟

ثم استطرد يقول فى قوة :

ـــ نعم هذا صحيح طبعا أنها دعاية سيئة جدا ، إن مثل هذا العمل يمكن أن يبعد النزلاء بكل تأكيد ، ستكون لفندقك سمعة سيئة .

قال هومر :

ـــ ولكن لم يعد فى مقدورنا أن نفعل شيئا .

قال ماك نايت :

ـــ بل ربما نستطيع ، انى أشعر بأننى مسئول شيئا ما ، لم يكن الكومودور يعرف ذلك طبعا ولكن ما كان يجب أن تسمحوا لبرونسون بأن يشترك فى مثل هذه الرحلة، فإنه شديد الانفعال وأخرق ، و لم يكن يعرف شيئا من أصول الصيد ، ولو أننى عرفت بالأمر لمنعته .. لاأريد ابدا أن تلحق بفندقكم أية سمعة سيئة بسبب هذا الأمر .

نظر الأخوة الثلاث اليه وانتظروا فى صمت، وبدت وجوههم كوجوه هيئة من المحلفين، وراحت النسمة الرطبة تداعب الأغصان في تنهيدة حزينة وتجعد وجه المستنقع الذى بدأ يتلألأ تحت أشعة شمس الصباح . .

واستطرد ماك نايت يقول :

ـــ يخيل لي أنه لاداعى لأن يعرف أى أحد ماحدث.. فيما عدانا نحن طبعا، وفيما عدا أصدقاء مستر برونسون فى نيويورك ، انه وحيد لا أقارب له ولا أهل ليسببوا لكم أية متاعب فماذا لو تركتمونا نعود به إلي نيويورك ونقيم له جنازة عادية دون أن يعلم أحد بما حدث له ؟ إن حوادث الصيد تقع فى كل مكان .. هل تفهموني ؟

قال هومر : نعم .

ـــ هل تعتقدون ان هذه فكرة صائبة ؟

قال هومر : أظن ذلك ..

ونظر إلى أخويه و لم يخالفه أى منهما ، فقد كان هو الأكبر ويأتى من بعده ادجار ثم بلو ، وهذا الأخير كان خجولا بعض الشئ أو لعله كان متخلفا ذهنيا ، فقد كان من النادر أن ينطق بشئ على كل حال ، وعاد هومر إلي ماك نايت وقال :

ـــ من الصعب تحديد ذلك من غير أجهزة علمية .

ـــ هل يمكن أن تكون قد بترت أثناء وجود الكولونيل فى ملقا ؟

ـــ أظن ذلك ،ولكن ما معناها عند الكولونيل مورلاند ؟

ـــ أه يا باركر، عندما نستطيع الرد على هذا السؤال فسنعرف لماذا أرسلت إليه .

وإبتسم متجهما وقال :

ـــ اظن انها تشير إلى حقبة مظلمة من ماضيه ، انه اعتزل الخدمة وهو فى الخامسة والخمسين ، أليس هذا وقتا مبكرا ؟

ـــ ربما اضطرته صحته إلى ذلك أو سلوكه ؟

ـــ ان مس مورلاند تقول عنه انه مثال للاستقامة ،ان هذا باعث للتعنيف والتوبيخ .

ومس الشريط الحريرى بأصبعه قائلا :

ـــ وما رأيك فى هذا ياباركر ؟

ـــ أعتقد أن اللون الأبيض هو لون الحداد فى آسيا .

قال بونس :

ـ ان الشريط جديد .

لم يسعنى إلا أن أقول :

ـــ هذا أمر بسيط استطيع أن أبدى أسباباً كثيرة لذلك ، ولكن الذى يهـــمنا قبل كل شئ هو سبب وجود هذه اليد ، أظن ان صاحبها ظل محتفظا بها طوال حياته .

قلت : يبدو هذا معقولا، انها حفظت بعناية كبيرة أتظن أن صاحبها ليس على قيد الحياة ؟ تقريبا .

ـــ هذا ما لم يكن لارسالها معنى أو دافع لانجاز شئ ما .

ــ هذا أمر مضحك ..

ــ ومع ذلك فقد كان لها معناها عند الكولونيل مورلاند ، وقد تكون بشعة ولكنها ليست بالطبع من البشاعة لتتسبب فى اغماء رجل عادى سليم بمجرد رؤيته لها ، انها تذكرنى بتلك التقاليد التافهة المعروفة بيد المجد أو باليد الساحرة المتحركة التى تذهب لإنجاز اغراض صاحبها حتى بعد مصرعه .

ــ هراء وأوهام .

ــ ان الكولونيل مورلاند يعتقد على الأقل أن حياته فى خطر وان التهديد يأتى من الملايو ، لنفحص كشف السفن التى أتت من الملايو فى الأيام الأخيرة قبل أن تعود عميلتنا .

وكنا قد فرغنا من فحص كشف السفن التى قدمت إلى انجلترا فى الأيام الخمسة الأخيرة قبل أن تعود عميلتنا من غرفة جونسون ، وتحققنا انه لم تأت أية سفينة من الملايو إلى انجلترا خلال هذه الايام الخمسة ولكن كان من المتوقع أن ترسو سفينة خلال الأربع والعشرين ساعة القادمة، وعندما جاءت مس مورلاند ألقى بونس بالأوراق جانبا وقال يخاطب صاحبة البيت التى تحولت لتعود إلى غرفتها .

ــ شكرا لك يا مسز جونسون والآن، اسمحى لى يا مس مورلاند .. سؤال أو سؤلان .. تفضلى بالجلوس .

وكانت مس مورلاند قد هدأت كثيرا ولكنها جلست فى مقعدها السابق والقلق يساورها وانتظرت ، وقال بونس :

ــ عندما عاد عمك إلى وعيه ، هل قال أو فعل شيئا له معنى خاص ؟

أجابت :

ــ لم ينطق بكلمة واحدة ، كان شاحبا جدا ، ونظر إلى الصندوق وبدا عليه الارتياح عندما رآه مغلقا والتقطة على الفور ، وقد سألته أن كان بخير فأجابنى بأنه أصيب بدوار بسيط وطلب منى أن أمضى وأن أتركه وتركته بعد أن تأكدت انه على ما يرام .

وأسرع هو الى مخدعه وخبأ الصندوق فيه لأنه عاد إلى بعد دقائق دونه ، ثم أغلق غرفة المكتب عليه ، وفى خلال ساعتين أقبل محاميه ، ولاريب أنه استدعاه لأن مســـتر هاريس ماكان ليأتى فى مثل هذه الساعة من تلقاء نفسه .

ــ ولكنك عثرت على الصندوق بعد ذلك يا مس مورلاند ؟

ــ ان غرفة عمى بها دولاب ومكتب وصندوق كبير رافقه فى كل رحلاته ،وكان قد التحق بالبحرية الملكية وقضى بها مدة قصيرة قبل ان يلتحق بوزارة الخارجية ،وقد صنع الصندوق فى ذلك الوقت، وكنت أعلم أن صندوق الفسيفساء لابد أن يكون فى أحد هذه المواضع الثلاثة وقد وجدته مخبوءا، بعناية كبيرة فى الصندوق الكبير بينما كان مجتمعا فى مكتبه بمستر هاريس ،وفى نحو الساعة الحادية عشرة وبعد أن أوي الى فراشه تسللت وأخذت الصندوق لكى آتى به اليك حتى لا أجازف بايقاظ عمى إذا أخذته صباح اليوم .

ــ هل تحدث عمك عن الصندوق مع أى أحد .

ــ لا أدرى يامستر بونس ، ولكننى أظن أنه لو كان قد تحدث عنه لمستر هاريس لعرضه عليه ، ولكن عمى لم يفارق غرفة مكتبه لحظة واحدة طوال فترة اجتماعه بمستر هاريس ، ولهذا لا أظن أنه تحدث إليه عنه .

ــ آه أظن اذن يا مس مورلاند أن فرصتنا الوحيدة هى أن نسأل عمك الأسئلة التى لاتستطيعين الرد عليها .

رفعت عميلتنا يديها من حجرها وارتسم اليأس فى عينيها وقالت :

ــ أوه أننى أخاف مما قد يقوله عمى .

ــ أن حياة عمك فى خطر شديد يا مس مورلاند ، ومن الواضح أنه يعرف ذلك وهو لايستطيع أن يفعل أكثر من أن يرفض مقابلتنا ولن يمكنه طبعا أن يستاء منك لأنك تريدين اسداء خدمة له .

وعادت يداها الى حجرها وهى تقول :

ــ هذا صحيح .

نظر بونس الى الساعة وقال :ان الساعة الآن التاسعة ويمكننا أن نستقبل مترو الانفاق من شارع بيكر وان نصل الى واتفورد جنكشون قبل مضى ساعة ولنترك الصندوق هنا ، إذا سمحت .

بقيت عميلتنا لحظة يتنازعها التردد ثم ضمت شفتيها فى إصرار ونهضت واقفة وقالت :

ــ حســـنا يا بونس، ان أقصي ما يستطـــيع عمى أن يفعله هو أن يزجرنى .

وفيما كنا نقترب من قصر مورلاند فى العربة التى أخذناها من محطة واتفورد جنكشون ، زاد تجهم وجه بونس وقال :

ــ اظن اننا جئنا متأخرين يا مس مورلاند .

صاحت عميلتنا : أوه يا مستر بونس .. لم تقول ذلك ؟

ــ لقد مرت بنا أربع سيارات من سيارات البوليس اثنتان ذاهبتان واثنتان عائدتان وانه ليدهشنى جدا أن نجد رجال البوليس فى قصر مورلاند .

اطبقت مس مورلاند على فمها حتى لاتصيح ، و لم يكن بونس مخطئا فقد رأينا سيارتين من سيارات البوليس أمام السور الكبير الذى يؤدى الى قصر مورلاند وقد وقف شرطى بجوار الباب .. وهمس بونس يقول : الشرطى ميكر .

وعندما دنت العربة من القصر تقدم ميكر ليوقفها ولكن ذراعه هبطت إلى جنبه عندما رأى بونس يهبط منها وصاح :

ــ مستر بونس .. كيف عرفت هكذا حالا ؟

ولكنه لم يلبث أن رأى عميلتنا فاستطرد: هل أنت مس فلورا مورلاند ؟

قالت الفتاة : نعم ، أرجو أن تخبرنى بما حدث .

ــ ان المفتش جامسون يبحث عنك يا مس مورلاند . تفضلى معى .

ولكن بونس تدخل قائلا : خل عنك يا ميكر سأرافقها أنا .

ــ حسنا يا سيدى . شكرا لك .

وهز رأسه مقطبا وتمتم :انها جريمة بشعة يا سيدى .. بشعة جدا.

وقفت عميلتنا لحظة ويدها ترتجف على ذراع بونس وقال هذا الأخير فى رفق :

ــ أخشى أن يكون عمك مات يا مس مورلاند .

وأجتزنا طرقة صغيرة يحوطها سياج من الأشجار أفضت بنا إلى بيت ريفى مبنى على الطراز الجورجى من طابقين ونصف .. وكان الباب العمومى مفتوحا على مصراعيه وقد وقف بداخله المفتش سيمور جامبسون أحد مفتشى ادارة اسكتلانديارد وكان يتحدث مع شرطى آخر وتحول إلينا عابسا وقال :

ـــ مستر بونس.البوليس السرى الخاص ! هل تشم رائحة الجرائم ؟

ثم وقعت عيناه على الفتاة فقال :

ـــ آه مس فلورا مورلاند .. كنت أبحث عنك .

قالت تسأله :

ـــ ما الذى حدث ؟

ـــ ألا تعرفين ؟

ـ كلا .

قال جامبسون فى برود :

ـــ وجد الكولونيل مورلاند قتيلا فى فراشه.. كان الباب مقفلا وكذلك النوافذ و لم نجـــدك أنت ، أرجو أن تأتى معى إلى غرفة المكتبة يامس مورلاند .

قال بونس :

أود أن أرى غرفة المخدع إذا سمحت لى ياجمبسون .

ـــ لك ذلك ، إن المصور لايزال يقوم بعمله هناك ولكنه سيفرغ حالا ، إنها فى آخر البهو ثالث غرفة على اليسار بالقرب من السلم .

رمت عميلتنا بونس بنظرة كلها توسل ورجاء فابتسم لها مطمئنا فاستدارت ومضت برفقة المفتش جامبسون إلى غرفة المكتبة ، وكانت على اليمين .

ومضى بونس الى مخدع الكولونيل مورلاند ، وكان المصور لايزال موجودا فيها.. وطالعنا منظرا بشعا فقد كان الكولونيل مورلاند ، وهو رجل طويل القامة عريض الكتفين ، طريحا فوق الفراش وقد غاب فى قلبه خنجرا حتى المقبض ، وأبشع من ذلك أن يده اليمنى بترت عند المعصم وبقيت حيث وقعت فى بركة من الدماء فوق الفراش نفسه وانبثق الدم من شفتى القتيل ولوث شفتيه وارتسمت فى عينيه الواسعتين الجاحظتين كل امارات الذعر الشديد .

كانت الغرفة فى حالة يرثى لها من الفوضى فإن القاتل قد بعثر كل شىء وكان الصندوق الكبير مفتوحا وقد أخرج منه كل ما كان فيه وألقى فوق الأرض ، وكانت أدراج المكتب فيما عدا الدرج العلوى الصغير مفتوحة وقد أفرغت من كل محتوياتها وكذلك

أفرغ دولاب الملابس من كل ما فيه حتى الرفوف العلوية وضع القاتل مخدة بجوار الدولاب ووقف عليها وأفرغ الرفوف من كل ما فيها .

ودهشت لبرود بونس وعدم مبالاته وهو يدير البصر فى الغرفة فاحصا.

وكان المصور قد فرغ من عمله وانصرف وتحول بونس إلى وقال :

ـــ منذ متى تعتقد أنه مات ياباركر .

تقدمت فى حذر وقمت بفحص سريع ثم قلت :

ـــ منذ ثمانى ساعات على الأقل وأظن ان ذلك قد حدث فيما بين منتصف الليل والساعة الثانية .. ليس قبل ذلك وليس بعد ذلك بكثير .

تمتم بونس :

ـــ أى قبل أن تغادر عميلتنا القصر..

ووقف لحظة حيث هو ثم تقدم فى حذر إلى الفراش ونظر إلى جثة الكولونيل مورلاند وقال :

ـــ يبدو أن القاتل لم يحاول إخراج الخنجر بعد أن طعن به الكولونيل وهذا يدل على أنه كان يحمل سلاحا آخر قطع به يد القتيل وقد قطع اليد بضربة واحدة .

وابتعد عن الفراش وأخذ ينتقل فى حذر بين الأشياء المبعثرة دون أن يطأ شيئا منها بقدميه ومضى رأسا إلى المكتب وكان من الواضح أن القاتل لم يلمس شيئا مما فوقه لأننى رأيت فوقه ساعة القتيل ومحفظته ، وكانت المحفظة أول شئ آثار اهتمام بونس فأخذها وفحص محتوياتها وتمتم :

ـــ سبعة وعشرون جنيها .

قلت :

ـــ هذا دليل على أنه لم يكن يبحث عن نقود .

هز بونس رأسه فى ضيق وقال :

ـــ كلا يا باركر،انه كان يبحث عن صندوق الفسيفساء فهو لم يلمس شيئا مما فوق المكتب لأن الصندوق لو كان فوقه لرآه على الفور ، وهو لم يفتح الدرج العلوى لأنه ليس من العمق بحيث يكفى لكى يضم الصندوق .

ومضى فى حذر الى ناحية من الفراش متجنبا بركة الدماء التى سالت من المعصم المقطوع وقال :

"لاشك فى أن القاتل وقف هنا"، وجثا على ركبتيه وفحص السجادة فى دقة وقد اعاقته الدماء فى بحثه شيئا ما ولكننى رأيت من الوميض الذى ومض فى عينيه فجأة أنه رأى شيئا له معناه وإن لم أستطع أنا أن أراه لأنه تمتم فى ارتياح والتقط شيئا من فوق السجادة وضعه فى مظروفين صغيرين من تلك الظروف التى يحملها معه دائما .

وبينما هو ينهض دخل المفتش جامبسون وقال فى لهجة من يفشى سرا :

ــ سيحزنك أن تعلم انى أرسلت مس رولاند إلى ادارة اسكوتلاند يارد لاستجوابها .

قال بونس :

ــ حقا ؟ هذا اجراء مدهش وعاجل ولامبرر له .. هل لديك من الأسباب ما يحملك على الظن بأنها متورطة فى هذه الجريمة .

أجاب جامبسون فى خيلاء :

ــ أى صديقى العزيز.انظر إلى الوقائع.. إن كل نوافذ البيت وأبوابه كانت موصدة ، وأربعة أشخاص فقط معهم مفاتيحه : الكولونيل مورلاند وقد وجدنا مفاتيحه بجوار فراشه وخادمه وكان وصيفا له فى ملقا وهو الذى اكتشف الجثة ومدبرة البيت ومس رولاند ، وكل منهم معه مفاتيحه الخاصة و لم يغتصب أى باب أو أية نافذة وقد أسر إلى مسترهاريس المحامى بأن مس مورلاند سترث ٦٠% من أملاك كبيرة .. كبيرة جدا بعد دفع ضريبة التركات .

ــ ألم تر أن إغلاق أبواب القصر ونوافذه فى مثل هذه الليلة الخانقة الحر له معناه ؟

أجاب جامبسون عابسا :

ــ لن تستطيع أن تثير دهشتى فى هذه الناحية فاننا نعرف كل شئ فيما يتعلق بصندوق الفسيفساء ، كان مورلاند يخشى على حياته .

ــ إذن فأنت تعتقد أن مس مورلاند تسللت إلى الغرفة وطعنت عمها وقطعت يده **اليمنى** وفتشت الغرفة إلى أن عثرت على الصندوق ثم أسرعت إلى تطلب معونتى .

تقريبا فانها من القوة بحيث يمكن أن تغيب الخنجر فى قلبه .

قال بونس فى جفاء :

ـــ تقريبا .

ـــ ولكن ليس هناك ما يمنعها من أن تلجأ إلى شريك .

ـــ وما هو الدافع الذى يدفعها إلى بتر يد عمها ؟

ـــ ليس هناك أفضل من هذه الطريقة لعرقلة التحقيق والتخبط فى الدافع لمثل هذه الجريمة البشعة .

ـــ وهل تبدو لك مس رولاند بعد حديثك معها من ذلك النوع من الفتيات اللاتى يمكن أن يرتكبن مثل هذه الجريمة .

ـــ أرى يا بونس أنك لاتستطيع مقاومة الجنس اللطيف .

ـــ وأنا أرى أن هذا إجراء معقد جدا لا لشئ إلا للحصول على ثروة سوف تؤول اليها .. كلا يا جامبسون إن هذا غير معقول .

ـــ تقول إن صندوق الفسيفساء معك ؟.. سوف نحتاج إليه .

ـــ أرسل إلى رسولا لكى يأخذه ولكن أرجو أن تتركه معى اليوم على الأقل .

ـــ لك ذلك .

ـــ أظن إنك استجوبت الخدم هل سمع أحدهم أى شئ بالليل ؟

أبدا ، وأستطيع أن أقول لك أن الكلب الذى يرقد خارج الباب العمومى عادة لم ينبح أبداً ، وأظنك تدرك معنى هذا .

معناه أن القاتل دخل أو أنه كان بالداخل من الباب الخلفى .

أحمر لون جامبسون وقال محتدا :

ـ ما دام الكلب لم ينبح أثناء الليل فإن المعنى من ذلك أن القاتل معروف له .

ضحك بونس وقال :

ـــ لايجب أن تطبق النظريات التى تقرأها فى قصص مستر أرثر كونان دويل يا صديقى .

قال جامبسون فى سخرية لاذعة :

ـــ أحسبك ستقول أنه يجب أن نبحث عن رجل طويل القامة استطاع أن يستميل الكلب إليه .

ـــ بل على العكس يجب أن تبحث عن رجل قصير القامة رشيق الحركة ارتكب جريمته وهو حافى القدمين .

وأشار إلي الوسادة التى لاتكاد تلحظ وقال :

ـــ ان رجلا أقصر من المعتاد هو وحده الذى يضطر إلى الوقوف على هذه الوسادة لكى تبلغ يده الرف العلوى للدولاب ، وانبعاج السجادة بجوار الفراش يدل على أن الوسادة مكانها هناك وأن القاتل نقلها بجوار الدولاب .

نظر جامبسون إلى الوسادة ثم عاد فنظر إلى بونس وقد قطب وجهه وقال هذا الأخير :

ـــ إذا كنت لاتمانع يا جامبسون فأننى أحب أن ألقى نظرة الى الخارج وإذا استطعت أن تعود بنا فى إحدى سيارات البوليس بعد ذلك فأننى أكون شاكرا لك .

ـــ لامانع يا بونس .

وتقدمنا جامبسون ومضى نحو السلم وانتقلنا إلى طرقة صغيرة تؤدى إلى غرفة الخدم على اليمين والى غرفة الخزين على اليسار، وفى آخرها باب خلفى يفضى إلى الفناء الخلفى للقصر .

وكانت الخادمة جالسة بالمطبخ ومعها امرأة عجوز محمرة العينين كان واضحا أنها مدبرة البيت ، وتردد جامبسون لحظة وهو يظن أن بونس يريد أن يتحدث إليهما ولكن هذا الآخر أولي كل اهتمامه إلى الباب الخلفى فمشى إليه وانحني فوق القفل فاحصا .

قال جامبسون وفى صوته رنة تدل على فروغ الصبر :

ـــ أننا قمنا بكل هذا يا بونس .

وخرجنا الى الفناء وانحنى بونس ليفحص العتبة ثم جثا على ركبتيه وزحف على أربع إلى الطرقة المرصوفة التى أمام الباب ، ومن مكان منها أخذ بعض البقايا وضعها فى ظرف وأشار إلى مكان آخر دون أن ينطق فأسرع جامبسون إليه حيث رأى أثر قدم حافية لرجل .

ونهض بونس واقفا بعد ذلك وعاد إلى البيت وأنا وجامبسون فى أعقابه ورأى دليل التليفون فراح يقلب فيه لحظة ثم قال أنه مستعد للانصراف إذا رضى جامبسون أن يعيرنا عربة مع سائقها .

وسألت بونس ونحن فى مترو الأنفاق مرة أخرى :

ـــ ألانعود إلى البيت ؟

ـــ كلا يا باركر، يسرنى أن أرى كيف تقرأ أفكارى بسهولة ، أستطيع أن أقول لك إننا لايجب أن نفقد أية لحظة فى البحث عن سر الصندوق الفسيفساء والآن وقد مات الكولونيل فأننا سنذهب إلى نيقولاس مورلاند فلعله يستطيع أن يفسر لنا ذلك ، ولاريب أنك تذكر إنه قضى خمس سنوات فى الملايو مع عمه ، إن له مكتبا فى التامبل وقد بحثت عن عنوانه فى دليل التليفونات قبل أن نغادر قصر مورلاند .

قلت :

ـــ فهمت تعليلك لقامة القاتل ولكننى لم أفهم أبداً كيف عرفت أنه حافى القدمين .

ـــ كان هناك على السجادة بجوار الفراش تماما فى المكان الذى أمكن للقاتل أن يقف فيه لكى يضرب ضربته القاتلة ثلاث ذرات من القاذورات يوحى منظرها على أنها تخلفت من أصابع ثلاثة لقدم عارية ، ولاريب أن تلك القاذورات تعلقت بأصابع القدم فى الطرقة المرصوفة التى تقع أمام الباب الخلفى .

ـ ولكن جامبسون أشار إلى الكلب .

ابتسم بونس ابتسامة غامضة وقال :

ـــ إن الكلب لم يفعل شيئا .. حسنا جدا .. إما أنه يعرف القاتل وإما أنه لم يسمعه وهذا جائز فإن الرجل الحافى القدمين يمكنه أن يتحرك دون أن يصدر منه صوت ولكن تأمل اليد المقطوعة وقل لى رأيك فيها مادمت تهتم بالاستنتاج كل هذا الاهتمام .

قلت :

ـــ لاتستشيرنى ، أظن أن الكولونيل تسبب فى إهانة شخص ما فى الماضى وأن هذا الشخص قد عاد لكى ينتقم .

صاح بونس :

ـــ عظيم .. عظيم .. يمكنك أن تستمر أيها العزيز ، وأستطيع الآن أن أفكر فى الاعتزال .

صحت :

ـــ انك تهزأ بى .

ـــ أبدا ، لايسعنى إلا أن أقرك على هذا هناك نقطة أو نقطتان تثيران حيرتى ولكن لاشك عندى فى أننى سأهتدى إلى حقيقتها فى الوقت المناسب .

وقضى بونس بقية الرحلة يفكر فى صمت وقد أطبق عينيه وهو يداعب شحمة أذنه بسبابة يده اليمنى وابهامها ، و لم يفتح عينيه حتى بلغنا محطة تامبل .

كان نيقولاس مورلاند فى أوائل الأربعين وكان متحفظا فى ثيابه ولكنها تدل على مركزه ، وفيما عدا اختلاف السن كان يشبه عمه فقد كان له نفس الشاربين ونفس الشفتين المضمومتين كانتا تدلان علي الحزم والحاجبين الكثيفين ، وكان مظهره البارد سطحيا لأنه لم يلبث ان انهار وهو يستمع إلى الموجز الدقيق للأحداث الذى عرضه بونس عليه ، ونضح جبينه بالعرق وراح يسيل على صدغيه ..

واختتم بونس حديثه قائلا :

ـ ونحن نعتمد عليك يا مستر مورلاند لكى توضح لنا معنى صندوق الفسيفساء وما فيه .

وقف مورلاند على قدميه وهو يرتعش ثم راح يسير جيئة وذهابا فى مكتبه وهو يعض على شفتيه وأخيراً قال :

ـــ هو شئ كنت أرجو أن لا أتحدث عنه .. هل من الضرورى أن أتكلم يا مستر بونس ؟

ـــ نعم يا مستر مورلاند ، ان سكوتلانديارد مهتمه بأن تعرفه بالذات وقد سبقتهم أنا اليك لأننى أعمل لصالح ابنة عمك .

ـــ طبعا ، أننى أفهم .

وأخذ يروح ويجئ فى مكتبه مرة أخرى ثم جلس أخيراً وراح يجفف جبينه بمنديله ثم قال :

ـــ حسنا يا مستر بونس ، هو أمر لايشرف عمى أبداً ، وكما أظن أن فلورا قالت لك بإن عمى تزوج بامرأة أسيوية .. امرأة جميلة جدا ، أصغر منه بعشر سنوات .. ربما بخمس عشرة سنة .. لست واثقا من ذلك ولكننى أظن أن زوجتى تعرف ، ومن الجائز أنه كانت لها صلة غير لائقة ببندارلو على ، وهو عم زوجتى أنا بالذات ، وينتمى إلى أسرة من أعرق الاسرات فى الملايو وعمل عمى على تفادى الفضيحة فماتت زوجته ، وهناك بعض الأسباب التى تحمل على الاعتقاد بأنها ماتت مسمومة بيد عمى ، وقد ألقى القبض على عشيقها وعثر فى بيته على بعض مقتنيات عمى فاتهم بسرقتها لا لشئ إلا لأنها وجدت فى

بيته وأدين وحكم عليه بقطع يده اليمنى حتى المعصم ، هذه هى القصة كلها يا سيدى .

ـــ ومتى حدث هذا يا مستر مورلاند ؟

ـــ قبل أن يعود الى الوطن بشهر أو شهرين فإن سلطان ملقا لم يرق له الأمر على الرغم من أنه أيد الحكم ،وقد استنكره فيما بعد وطلب من الحكومة الانجليزية استدعاء المقيم ، و لم يسع الحكومة إلا أن تستجيب له فأبعدت المقيم عن وظيفته .

ـــ كان ذلك منذ خمس عشرة سنة ولكن هل من المعقول أن ينتظر كل هذه المدة لكى ينتقم .

ـــ ليس هو يا مستر بونس فإنه مات منذ ثلاثة شهور ، وأظن أن ابن بندارلو على رأى **أن** ينتقم لشرف الأسرة وللإهانة التى لحقت به .

لزم بونس الصمت بضع لحظات وهو مستغرق فى التفكير ثم قال :

ـــ أنك تعرف طبعا أنك سترث ثروة عمك مع ابنة عمك ؟

أوه ، نعم فليس هناك أحد آخر غيرنا، اننا أسرة صغيرة وما لم تتزوج فلورا فستنطفئ الأسرة كلها، أوه هناك بعض الأقارب البعيدين ولكن الصلة مفقودة بيننا وبينهم منذ سنوات كثيرة .

وهز كتفيه واستطرد :

ـــ ولكن ليس لهذا أية أهمية فإن مكتبى يفى بكل احتياجاتنا وإن كنت اظن أن زوجتى سترحب بذلك لأنها ستجد الفرصة لتجديد وتوسيع محلها .

صلصل جرس التليفون فجأة فرفع مورلاند السماعة إلى أذنه وأصغي لحظة ثم أعادها قائلا :

ـــ أن البوليس قادم يا مستر بونس .

نهض بونس على قدميه فى نشاط وقال :

ـــ ثمة سؤال آخر يا مستر مورلاند ، هل كانت علاقتك بعمك قائمة على الود أم لا ؟

ـــ اننا كنا نتناول العشاء نحن الثلاثة على مائدته مرة كل شهر يا مستر بونس .

ـــ أنتم الثلاثة : (أنا وزوجتى وابن عم لها يقيم معنا ، وما كان عمى ليستثنيه طبعا .

ـــ شكرا لك ياسيدى .

وانصرفنا وخرج بونس وفى ذهنه وجهة نظر خاصة وبعد بضع دقائق كنا فى مترو الأنفاق ، وانطلقنا فى صمت حتى بلغنا محطة ترافلجار، ومضينا إلى ميدان ستراند .

وقلت وقد ساءنى صمته :

ــ بونس .. لقد شارف الوقت على الظهر الآن فماذا نفعل هنا ؟

ــ آه .. تذرع بالصبر ياباركر ..ان ميدان الستراند منطقة من أجمل المناطق فى بلدنا **وأريد** أن أتسكع وأشترى بعض السلع .

ومشينا فى ميدان الستراند حتى بلغنا محلا صغيرا تدل لافتته على أنه يبيع العاديات القديمة والسلع المستوردة .

ــ من الصعب تحديد ذلك من غير أجهزة علمية .

ــ هل يمكن أن تكون قد بترت أثناء وجود الكولونيل فى ملقا ؟

ــ أظن ذلك ،ولكن ما معناها عند الكولونيل مورلاند ؟

ــ أه يا باركر، عندما نستطيع الرد على هذا السؤال فسنعرف لماذا أرسلت إليه .

وإبتسم متجهما وقال :

ــ اظن انها تشير إلى حقبة مظلمة من ماضيه ، انه اعتزل الخدمة وهو فى الخامسة والخمسين ، أليس هذا وقتا مبكرا ؟

ــ ربما اضطرته صحته إلى ذلك أو سلوكه ؟

ــ ان مس مورلاند تقول عنه انه مثال للاستقامة ،ان هذا باعث للتعنيف والتوبيخ .

ومس الشريط الحريرى بأصبعه قائلا :

ــ وما رأيك فى هذا ياباركر ؟

ــ أعتقد أن اللون الأبيض هو لون الحداد فى آسيا .

قال بونس :

ــ ان الشريط جديد .

لم يسعنى إلا أن أقول :

ــ هذا أمر بسيط استطيع أن أبدى أسباباً كثيرة لذلك ، ولكن الذى يهـــمنا قبل كل شئ هو سبب وجود هذه اليد ، أظن ان صاحبها ظل محتفظا بها طوال حياته .

قلت : يبدو هذا معقولا، انها حفظت بعناية كبيرة أتظن أن صاحبها ليس على قيد **الحياة ؟ تقريبا** .

ـــ هذا ما لم يكن لارسالها معنى أو دافع لانجاز شئ ما .

ـــ هذا أمر مضحك ..

ـــ ومع ذلك فقد كان لها معناها عند الكولونيل مورلاند ، وقد تكون بشعة ولكنها ليست بالطبع من البشاعة لتتسبب فى اغماء رجل عادى سليم بمجرد رؤيته لها ، انها تذكرنى بتلك التقاليد التافهة المعروفة بيد المجد أو باليد الساحرة المتحركة التى تذهب لإنجاز اغراض صاحبها حتى بعد مصرعه .

ـــ هراء وأوهام .

ـــ ان الكولونيل مورلاند يعتقد على الأقل أن حياته فى خطر وان التهديد يأتى من الملايو ، لنفحص كشف السفن التى أتت من الملايو فى الأيام الأخيرة قبل أن تعود عميلتنا .

وكنا قد فرغنا من فحص كشف السفن التى قدمت إلى انجلترا فى الأيام الخمسة الأخيرة قبل أن تعود عميلتنا من غرفة جونسون ، وتحققنا انه لم تأت أية سفينة من الملايو إلى انجلترا خلال هذه الايام الخمسة ولكن كان من المتوقع أن ترسو سفينة خلال الأربع والعشرين ساعة القادمة، وعندما جاءت مس مورلاند ألقى بونس بالأوراق جانبا وقال يخاطب صاحبة البيت التى تحولت لتعود إلى غرفتها .

ـــ شكرا لك يا مسز جونسون والآن، اسمحى لى يا مس مورلاند .. سؤال أو سؤلان .. تفضلى بالجلوس .

وكانت مس مورلاند قد هدأت كثيرا ولكنها جلست فى مقعدها السابق والقلق يساورها وانتظرت ، وقال بونس :

ـــ عندما عاد عمك إلى وعيه ، هل قال أو فعل شيئا له معنى خاص ؟

أجابت :

ـــ لم ينطق بكلمة واحدة ، كان شاحبا جدا ، ونظر إلى الصندوق وبدا عليه الارتياح عندما **رآه** مغلقا والتقطة على الفور ، وقد سألته أن كان بخير فأجابنى بأنه أصيب بدوار بسيط وطلب منى أن أمضى وأن أتركه وتركته بعد أن تأكدت انه على ما يرام .

وأسرع هو الى مخدعه وخبأ الصندوق فيه لأنه عاد إلى بعد دقائق دونه ، ثم أغلق غرفة المكتب عليه ، وفى خلال ساعتين أقبل محاميه ، ولاريب أنه استدعاه لأن مســتر هاريس ماكان ليأتى فى مثل هذه الساعة من تلقاء نفسه .

ــ ولكنك عثرت على الصندوق بعد ذلك يا مس مورلاند ؟

ــ ان غرفة عمى بها دولاب ومكتب وصندوق كبير رافقه فى كل رحلاته ،وكان قد التحق بالبحرية الملكية وقضى بها مدة قصيرة قبل ان يلتحق بوزارة الخارجية ،وقد صنع الصندوق فى ذلك الوقت، وكنت أعلم أن صندوق الفسيفساء لابد أن يكون فى أحد هذه المواضع الثلاثة وقد وجدته مخبوءا، بعناية كبيرة فى الصندوق الكبير بينما كان مجتمعا فى مكتبه بمستر هاريس ،وفى نحو الساعة الحادية عشرة وبعد أن أوي الى فراشه تسللت وأخذت الصندوق لكى آتى به اليك حتى لا أجازف بايقاظ عمى إذا أخذته صباح اليوم .

ــ هل تحدث عمك عن الصندوق مع أى أحد .

ــ لا أدرى يامستر بونس ، ولكننى أظن أنه لو كان قد تحدث عنه لمستر هاريس لعرضه عليه ، ولكن عمى لم يفارق غرفة مكتبه لحظة واحدة طوال فترة اجتماعه بمستر هاريس ، ولهذا لا أظن أنه تحدث إليه عنه .

ــ آه أظن اذن يا مس مورلاند أن فرصتنا الوحيدة هى أن نسأل عمك الأسئلة التى لاتستطيعين الرد عليها .

رفعت عميلتنا يديها من حجرها وارتسم اليأس فى عينيها وقالت :

ــ أوه أننى أخاف مما قد يقوله عمى .

ــ أن حياة عمك فى خطر شديد يا مس مورلاند ، ومن الواضح أنه يعرف ذلك وهو لايستطيع أن يفعل أكثر من أن يرفض مقابلتنا ولن يمكنه طبعا أن يستاء منك لأنك تريدين اسداء خدمة له .

وعادت يداها الى حجرها وهى تقول :

ــ هذا صحيح .

نظر بونس الى الساعة وقال :ان الساعة الآن التاسعة ويمكننا أن نستقبل مترو الانفاق من

شارع بيكر وان نصل الى واتفورد جنكشون قبل مضى ساعة ولنترك الصندوق هنا ، إذا سمحت .

بقيت عميلتنا لحظة يتنازعها التردد ثم ضمت شفتيها فى إصرار ونهضت واقفة وقالت :

ـــ حســـنا يا بونس، ان أقصي ما يستطـــيع عمى أن يفعله هو أن يزجرنى .

وفيما كنا نقترب من قصر مورلاند فى العربة التى أخذناها من محطة واتفورد جنكشون ، زاد تجهم وجه بونس وقال :

ـــ اظن اننا جئنا متأخرين يا مس مورلاند .

صاحت عميلتنا : أوه يا مستر بونس .. لم تقول ذلك ؟

ـــ لقد مرت بنا أربع سيارات من سيارات البوليس اثنتان ذاهبتان واثنتان عائدتان وانه ليدهشنى جدا أن نجد رجال البوليس فى قصر مورلاند .

اطبقت مس مورلاند على فمها حتى لاتصيح ، و لم يكن بونس مخطئا فقد رأينا سيارتين من سيارات البوليس أمام السور الكبير الذى يؤدى الى قصر مورلاند وقد وقف شرطى بجوار الباب .. وهمس بونس يقول : الشرطى ميكر .

وعندما دنت العربة من القصر تقدم ميكر ليوقفها ولكن ذراعه هبطت إلى جنبه عندما رأى بونس يهبط منها وصاح :

ـــ مستر بونس .. كيف عرفت هكذا حالا ؟

ولكنه لم يلبث أن رأى عميلتنا فاستطرد: هل أنت مس فلورا مورلاند ؟

قالت الفتاة : نعم ، أرجو أن تخبرنى بما حدث .

ـــ ان المفتش جامسون يبحث عنك يا مس مورلاند . تفضلى معى .

ولكن بونس تدخل قائلا : خل عنك يا ميكر سأرافقها أنا .

ـــ حسنا يا سيدى . شكرا لك .

وهز رأسه مقطبا وتمتم :انها جريمة بشعة يا سيدى .. بشعة جدا.

وقفت عميلتنا لحظة ويدها ترتجف على ذراع بونس وقال هذا الأخير فى رفق :

ـــ أخشى أن يكون عمك مات يا مس مورلاند .

وأجتزنا طرقة صغيرة يحوطها سياج من الأشجار أفضت بنا إلى بيت ريفى مبنى على

الطراز الجورجى من طابقين ونصف .. وكان الباب العمومى مفتوحا على مصراعيه وقد وقف بداخله المفتش سيمور جامبسون أحد مفتشى ادارة اسكتلانديارد وكان يتحدث مع شرطى آخر وتحول إلينا عابسا وقال :

ـــ مستر بونس.البوليس السرى الخاص ! هل تشم رائحة الجرائم ؟

ثم وقعت عيناه على الفتاة فقال :

ـــ آه مس فلورا مورلاند .. كنت أبحث عنك .

قالت تسأله :

ـــ ما الذى حدث ؟

ـــ ألا تعرفين ؟

ـــ كلا .

قال جامبسون فى برود :

ـــ وجد الكولونيل مورلاند قتيلا فى فراشه.. كان الباب مقفلا وكذلك النوافذ و لم نجـــدك أنت ، أرجو أن تأتى معى إلى غرفة المكتبة يامس مورلاند .

قال بونس :

أود أن أرى غرفة المخدع إذا سمحت لى ياجمبسون .

ـــ لك ذلك ، إن المصور لايزال يقوم بعمله هناك ولكنه سيفرغ حالا ، إنها فى آخر البهو ثالث غرفة على اليسار بالقرب من السلم .

رمت عميلتنا بونس بنظرة كلها توسل ورجاء فابتسم لها مطمئنا فاستدارت ومضت برفقة المفتش جامبسون إلى غرفة المكتبة ، وكانت على اليمين .

ومضى بونس الى مخدع الكولونيل مورلاند ، وكان المصور لايزال موجودا فيها.. وطالعنا منظرا بشعا فقد كان الكولونيل مورلاند ، وهو رجل طويل القامة عريض الكتفين ، طريحا فوق الفراش وقد غاب فى قلبه خنجرا حتى المقبض ، وأبشع من ذلك أن يده اليمنى بترت عند المعصم وبقيت حيث وقعت فى بركة من الدماء فوق الفراش نفسه وانبثق الدم من شفتى القتيل ولوث شفتيه وارتسمت فى عينيه الواسعتين الجاحظتين كل امارات الذعر الشديد .

كانت الغرفة فى حالة يرثى لها من الفوضى فإن القاتل قد بعثر كل شىء وكان الصندوق الكبير مفتوحا وقد أخرج منه كل ما كان فيه وألقى فوق الأرض ، وكانت أدراج المكتب فيما عدا الدرج العلوى الصغير مفتوحة وقد أفرغت من كل محتوياتها وكذلك أفرغ دولاب الملابس من كل ما فيه حتى الرفوف العلوية وضع القاتل مخدة بجوار الدولاب ووقف عليها وأفرغ الرفوف من كل ما فيها .

ودهشت لبرود بونس وعدم مبالاته وهو يدير البصر فى الغرفة فاحصا.

وكان المصور قد فرغ من عمله وانصرف وتحول بونس إلى وقال :

ـــ منذ متى تعتقد أنه مات ياباركر .

تقدمت فى حذر وقمت بفحص سريع ثم قلت :

ـــ منذ ثمانى ساعات على الأقل وأظن ان ذلك قد حدث فيما بين منتصف الليل والساعة الثانية .. ليس قبل ذلك وليس بعد ذلك بكثير .

تمتم بونس :

ـــ أى قبل أن تغادر عميلتنا القصر..

ووقف لحظة حيث هو ثم تقدم فى حذر إلى الفراش ونظر إلى جثة الكولونيل مورلاند وقال :

ـــ يبدو أن القاتل لم يحاول إخراج الخنجر بعد أن طعن به الكولونيل وهذا يدل على أنه كان يحمل سلاحا آخر قطع به يد القتيل وقد قطع اليد بضربة واحدة .

وابتعد عن الفراش وأخذ ينتقل فى حذر بين الأشياء المبعثرة دون أن يطأ شيئا منها بقدميه ومضى رأسا إلى المكتب وكان من الواضح أن القاتل لم يلمس شيئا مما فوقه لأننى رأيت فوقه ساعة القتيل ومحفظته ، وكانت المحفظة أول شئ آثار اهتمام بونس فأخذها وفحص محتوياتها وتمتم :

ـــ سبعة وعشرون جنيها .

قلت :

ـــ هذا دليل على أنه لم يكن يبحث عن نقود .

هز بونس رأسه فى ضيق وقال :

ـــ كلا يا باركر،انه كان يبحث عن صندوق الفسيفساء فهو لم يلمس شيئا مما فوق المكتب لأن الصندوق لو كان فوقه لرأه على الفور ، وهو لم يفتح الدرج العلوى لأنه ليس من العمق بحيث يكفى لكى يضم الصندوق .

ومضى فى حذر الى ناحية من الفراش متجنبا بركة الدماء التى سالت من المعصم المقطوع وقال :

"لاشك فى أن القاتل وقف هنا"، وجثا على ركبتيه وفحص السجادة فى دقة وقد اعاقته الدماء فى بحثه شيئا ما ولكننى رأيت من الوميض الذى ومض فى عينيه فجأة أنه رأى شيئا له معناه وإن لم أستطع أنا أن أراه لأنه تمتم فى ارتياح والتقط شيئا من فوق السجادة وضعه فى مظروفين صغيرين من تلك الظروف التى يحملها معه دائما .

وبينما هو ينهض دخل المفتش جامبسون وقال فى لهجة من يفشى سرا :

ـــ سيحزنك أن تعلم اننى أرسلت مس رولاند إلى ادارة اسكوتلاند يارد لاستجوابها .

قال بونس :

ـــ حقا ؟ هذا اجراء مدهش وعاجل ولامبرر له .. هل لديك من الأسباب ما يحملك على الظن بأنها متورطة فى هذه الجريمة .

أجاب جامبسون فى خيلاء :

ـــ أى صديقى العزيز.انظر إلى الوقائع.. إن كل نوافذ البيت وأبوابه كانت موصدة ، وأربعة أشخاص فقط معهم مفاتيحه : الكولونيل مورلاند وقد وجدنا مفاتيحه بجوار فراشه وخادمه وكان وصيفا له فى ملقا وهو الذى اكتشف الجثة ومدبرة البيت ومس رولاند ، وكل منهم معه مفاتيحه الخاصة و لم يغتصب أى باب أو أية نافذة وقد أسر إلى مسترهاريس المحامى بأن مس مورلاند سترث ٦٠% من أملاك كبيرة .. كبيرة جدا بعد دفع ضريبة التركات .

ـــ ألم تر أن إغلاق أبواب القصر ونوافذه فى مثل هذه الليلة الخانقة الحر له معناه ؟

أجاب جامبسون عابسا :

ـــ لن تستطيع أن تثير دهشتى فى هذه الناحية فاننا نعرف كل شئ فيما يتعلق بصندوق الفسيفساء ، كان مورلاند يخشى على حياته .

ـــ إذن فأنت تعتقد أن مس مورلاند تسللت إلى الغرفة وطعنت عمها وقطعت يده اليمنى وفتشت الغرفة إلى أن عثرت على الصندوق ثم أسرعت إلى تطلب معونتى .

تقريبا فالها من القوة بحيث يمكن أن تغيب الخنجر فى قلبه .

قال بونس فى جفاء :

ـــ تقريبا .

ـــ ولكن ليس هناك ما يمنعها من أن تلجأ إلى شريك .

ـــ وما هو الدافع الذى يدفعها إلى بتر يد عمها ؟

ـــ ليس هناك أفضل من هذه الطريقة لعرقلة التحقيق والتخبط فى الدافع لمثل هذه الجريمة البشعة .

ـــ وهل تبدو لك مس رولاند بعد حديثك معها من ذلك النوع من الفتيات اللاتى يمكن أن يرتكبن مثل هذه الجريمة .

ـــ أرى يا بونس أنك لاتستطيع مقاومة الجنس اللطيف .

ـــ وأنا أرى أن هذا إجراء معقد جدا لا لشئ إلا للحصول على ثروة سوف تؤول اليها .. كلا يا جامبسون إن هذا غير معقول .

ـــ تقول إن صندوق الفسيفساء معك ؟.. سوف نحتاج إليه .

ـــ أرسل إلى رسولا لكى يأخذه ولكن أرجو أن تتركه معى اليوم على الأقل .

ـــ لك ذلك .

ـــ أظن إنك استجوبت الخدم هل سمع أحدهم أى شئ بالليل ؟

أبدا ، وأستطيع أن أقول لك أن الكلب الذى يرقد خارج الباب العمومى عادة لم ينبح أبداً ، وأظنك تدرك معنى هذا .

معناه أن القاتل دخل أو أنه كان بالداخل من الباب الخلفى .

أحمر لون جامبسون وقال محتدا :

ـــ ما دام الكلب لم ينبح أثناء الليل فإن المعنى من ذلك أن القاتل معروف له .

ضحك بونس وقال :

ـــ لايجب أن تطبق النظريات التى تقرأها فى قصص مستر أرثر كونان دويل يا صديقى .

قال جامبسون فى سخرية لاذعة :

ــ أحسبك ستقول أنه يجب أن نبحث عن رجل طويل القامة استطاع أن يستميل الكلب إليه .

ــ بل على العكس يجب أن تبحث عن رجل قصير القامة رشيق الحركة ارتكب جريمته وهو حافى القدمين .

وأشار إلي الوسادة التى لاتكاد تلحظ وقال :

ــ ان رجلا أقصر من المعتاد هو وحده الذى يضطر إلى الوقوف على هذه الوسادة لكى تبلغ يده الرف العلوى للدولاب ، وانبعاج السجادة بجوار الفراش يدل على أن الوسادة مكانها هناك وأن القاتل نقلها بجوار الدولاب .

نظر جامبسون إلى الوسادة ثم عاد فنظر إلى بونس وقد قطب وجهه وقال هذا الأخير :

ــ إذا كنت لاتمانع يا جامبسون فأننى أحب أن ألقى نظرة الى الخارج وإذا استطعت أن تعود بنا فى إحدى سيارات البوليس بعد ذلك فأننى أكون شاكرا لك .

ــ لامانع يا بونس .

وتقدمنا جامبسون ومضى نحو السلم وانتقلنا إلى طرقة صغيرة تؤدى إلى غرفة الخدم على اليمين والى غرفة الخزين على اليسار، وفى آخرها باب خلفى يفضى إلى الفناء الخلفى للقصر .

وكانت الخادمة جالسة بالمطبخ ومعها امرأة عجوز محمرة العينين كان واضحا أنها مدبرة البيت ، وتردد جامبسون لحظة وهو يظن أن بونس يريد أن يتحدث إليهما ولكن هذا الآخر أولي كل اهتمامه إلى الباب الخلفى فمشى إليه وانحني فوق القفل فاحصا .

قال جامبسون وفى صوته رنة تدل على فروغ الصبر :

ــ أننا قمنا بكل هذا يا بونس .

وخرجنا الى الفناء وانحنى بونس ليفحص العتبة ثم جثا على ركبتيه وزحف على أربع إلى الطرقة المرصوفة التى أمام الباب ، ومن مكان منها أخذ بعض البقايا وضعها فى ظرف وأشار إلى مكان آخر دون أن ينطق فأسرع جامبسون إليه حيث رأى أثر قدم حافية لرجل .

ونهض بونس واقفا بعد ذلك وعاد إلى البيت وأنا وجامبسون فى أعقابه ورأى دليل التليفون فراح يقلب فيه لحظة ثم قال أنه مستعد للانصراف إذا رضى جامبسون أن يعيرنا عربة مع سائقها .

وسألت بونس ونحن فى مترو الأنفاق مرة أخرى :

ــ ألانعود إلى البيت ؟

ــ كلا يا باركر، يسرنى أن أرى كيف تقرأ أفكارى بسهولة ، أستطيع أن أقول لك إننا لايجب أن نفقد أية لحظة فى البحث عن سر الصندوق الفسيفساء والآن وقد مات الكولونيل فأننا سنذهب إلى نيقولاس مورلاند فلعله يستطيع أن يفسر لنا ذلك ، ولاريب أنك تذكر إنه قضى خمس سنوات فى الملايو مع عمه ، إن له مكتبا فى التامبل وقد بحثت عن عنوانه فى دليل التليفونات قبل أن نغادر قصر مورلاند .

قلت :

ــ فهمت تعليلك لقامة القاتل ولكننى لم أفهم أبداً كيف عرفت أنه حافى القدمين .

ــ كان هناك على السجادة بجوار الفراش تماما فى المكان الذى أمكن للقاتل أن يقف فيه لكى يضرب ضربته القاتلة ثلاث ذرات من القاذورات يوحى منظرها على أنها تخلفت من أصابع ثلاثة لقدم عارية ، ولاريب أن تلك القاذورات تعلقت بأصابع القدم فى الطرقة المرصوفة التى تقع أمام الباب الخلفى .

ــ ولكن جامبسون أشار إلى الكلب .

ابتسم بونس ابتسامة غامضة وقال :

ــ إن الكلب لم يفعل شيئا .. حسنا جدا .. إما أنه يعرف القاتل وإما أنه لم يسمعه وهذا جائز فإن الرجل الحافى القدمين يمكنه أن يتحرك دون أن يصدر منه صوت ولكن تأمل اليد المقطوعة وقل لى رأيك فيها مادمت تهتم بالاستنتاج كل هذا الاهتمام .

قلت :

ــ لاتستشيرنى ، أظن أن الكولونيل تسبب فى إهانة شخص ما فى الماضى وأن هذا الشخص قد عاد لكى ينتقم .

صاح بونس :

ـــ عظيم .. عظيم .. يمكنك أن تستمر أيها العزيز ، وأستطيع الآن أن أفكر فى الاعتزال .

صحت :

ـــ انك تهزأ بى .

ـــ أبدا ، لايسعنى إلا أن أقرك على هذا هناك نقطة أو نقطتان تثيران حيرتى ولكن لاشك عندى فى أننى سأهتدى إلى حقيقتها فى الوقت المناسب .

وقضى بونس بقية الرحلة يفكر فى صمت وقد أطبق عينيه وهو يداعب شحمة أذنه بسبابة يده اليمنى وابهامها ، و لم يفتح عينيه حتى بلغنا محطة تامبل .

كان نيقولاس مورلاند فى أوائل الأربعين وكان متحفظا فى ثيابه ولكنها تدل على مركزه ، وفيما عدا اختلاف السن كان يشبه عمه فقد كان له نفس الشاربين ونفس الشفتين المضمومتين كانتا تدلان علي الحزم والحاجبين الكثيفين ، وكان مظهره البارد سطحيا لأنه لم يلبث ان انهار وهو يستمع إلى الموجز الدقيق للأحداث الذى عرضه بونس عليه ، ونضح جبينه بالعرق وراح يسيل على صدغيه ..

واختتم بونس حديثه قائلا :

ـــ ونحن نعتمد عليك يا مستر مورلاند لكى توضح لنا معنى صندوق الفسيفساء وما فيه .

وقف مورلاند على قدميه وهو يرتعش ثم راح يسير جيئة وذهابا فى مكتبه وهو يعض على شفتيه وأخيراً قال :

ـــ هو شئ كنت أرجو أن لا أتحدث عنه .. هل من الضرورى أن أتكلم يا مستر بونس ؟

ـــ نعم يا مستر مورلاند ، ان سكوتلانديارد مهتمه بأن تعرفه بالذات وقد سبقتهم أنا اليك لأننى أعمل لصالح ابنة عمك .

ـ طبعا ، أننى أفهم .

وأخذ يروح ويجئ فى مكتبه مرة أخرى ثم جلس أخيراً وراح يجفف جبينه بمنديله ثم قال :

ـــ حسنا يا مستر بونس ، هو أمر لايشرف عمى أبداً ، وكما أظن أن فلورا قالت لك بإن عمى تزوج بامرأة أسيوية .. امرأة جميلة جدا ، أصغر منه بعشر سنوات .. ربما بخمس عشرة سنة .. لست واثقا من ذلك ولكننى أظن أن زوجتى تعرف ، ومن الجائز أنه كانت لها صلة غير لائقة ببندارلو على ، وهو عم زوجتى أنا بالذات ، وينتمى إلى أسرة من أعرق

الاسرات فى الملايو وعمل عمى على تفادى الفضيحة فماتت زوجته ، وهناك بعض الأسباب التى تحمل على الاعتقاد بأنها ماتت مسمومة بيد عمى ، وقد ألقى القبض على عشيقها وعثر فى بيته على بعض مقتنيات عمى فاتهم بسرقتها لا لشئ إلا لأنها وجدت فى بيته وأدين وحكم عليه بقطع يده اليمنى حتى المعصم ، هذه هى القصة كلها يا سيدى .

ـــ ومتى حدث هذا يا مستر مورلاند ؟

ـــ قبل أن يعود الى الوطن بشهر أو شهرين فإن سلطان ملقا لم يرق له الأمر على الرغم من أنه أيد الحكم ،وقد استنكره فيما بعد وطلب من الحكومة الانجليزية استدعاء المقيم ، و لم يسع الحكومة إلا أن تستجيب له فأبعدت المقيم عن وظيفته .

ـــ كان ذلك منذ خمس عشرة سنة ولكن هل من المعقول أن ينتظر كل هذه المدة لكى ينتقم .

ـــ ليس هو يا مستر بونس فإنه مات منذ ثلاثة شهور ، وأظن أن ابن بندارلو على رأى أن ينتقم لشرف الأسرة وللإهانة التى لحقت به .

لزم بونس الصمت بضع لحظات وهو مستغرق فى التفكير ثم قال :

ـــ أنك تعرف طبعا أنك سترث ثروة عمك مع ابنة عمك ؟

أوه ، نعم فليس هناك أحد آخر غيرنا، اننا أسرة صغيرة وما لم تتزوج فلورا فستنطفئ الأسرة كلها، أوه هناك بعض الأقارب البعيدين ولكن الصلة مفقودة بيننا وبينهم منذ سنوات كثيرة .

وهز كتفيه واستطرد :

ـــ ولكن ليس لهذا أية أهمية فإن مكتبى يفى بكل احتياجاتنا وإن كنت اظن أن زوجتى سترحب بذلك لأنها ستجد الفرصة لتجديد وتوسيع محلها .

صلصل جرس التليفون فجأة فرفع مورلاند السماعة إلى أذنه وأصغي لحظة ثم أعادها قائلا :

ـــ أن البوليس قادم يا مستر بونس .

نهض بونس على قدميه فى نشاط وقال :

ـــ ثمة سؤال آخر يا مستر مورلاند ، هل كانت علاقتك بعمك قائمة على الود أم لا ؟

ــ اننا كنا نتناول العشاء نحن الثلاثة على مائدته مرة كل شهر يا مستر بونس .

ــ أنتم الثلاثة : (أنا وزوجتى وابن عم لها يقيم معنا ، وما كان عمى ليستثنيه طبعا .

ــ شكرا لك ياسيدى .

وانصرفنا وخرج بونس وفى ذهنه وجهة نظر خاصة وبعد بضع دقائق كنا فى مترو الأنفاق ، وانطلقنا فى صمت حتى بلغنا محطة ترافلجار، ومضينا إلى ميدان ستراند .

وقلت وقد ساءنى صمته :

ــ بونس .. لقد شارف الوقت على الظهر الآن فماذا نفعل هنا ؟

ــ آه .. تذرع بالصبر ياباركر ..ان ميدان الستراند منطقة من أجمل المناطق فى بلدنا وأريد أن أتسكع وأشترى بعض السلع .

ومشينا فى ميدان الستراند حتى بلغنا محلا صغيرا تدل لافتته على أنه يبيع العاديات القديمة والسلع المستوردة .

ــ آه هانحن قد وصلنا ، أرجو يا باركر أن تحتفظ ببرودك فإن من عادتك أن تنم ملامحك عما يعتمل بداخلك .

وإذ فرغ من قوله دخل المحل ، ورن جرس فى غرفة خلفية فخرج منها شاب أنيق أسمر البشرة لايبدو عليه السن ، أقبل إلينا وانحنى أمامنا، كان يبدو أكبر من الغلام بقليل ولكنه لم يكن بغلام وابتسم لنا كاشفا عن أسنانه البيضاء ، وقال هل من خدمة أستطيع أن أقدمها لكما ؟

سأله بونس فى ايجاز :

ــ هل أنت صاحب المحل ؟

ــ كلا ياسيدى .. أنا أحمد ، انى أعمل مع مسز مورلاند .

قال بونس :

ــ انى أبحث عن صندوق من الفسيفساء .

ــ آه هل تريد صندوقا له حجم معين ؟

قال بونس :

ــ آه .. كلا .

ووصف له حجم الصندوق الذى أحضرته له مس مورلاند .

ــ هكذا .. لحظة واحدة من فضلك .

وأسرع الي الغرفة الخلفية ولكنه لم يلبث أن خرج بعد لحظات قلائل وهو يحمل صندوقا من الفسيفساء قدمه لبونس قائلاً :

ــ أنه يرجع الى القرن السابع عشر ياسيدي .. تحفة من الفن الايطالى اظن أن هذا هو الصندوق الذى تريده .

قال بونس :

ــ أنه صندوق جميل طبعا ولكنه ليس النوع الذى أريده بالذات أن حجمة على مايرام ولكننى أريد صندوقا له نقوش شرقية .

قال أحمد :

ــ ولكن ليست هناك صناديق شرقية قديمة من هذا النوع .. اننى أسف

قال بونس :

ــ أننى لا أريد صندوقا قديما ، أننى أعرف طبعا ان صناديق الفسيفساء لم تعرف فى الشرق قبل القرن الثامن عشر .

تلألأ وجه أحمد وقال :

ــ أه .. اذا كان الأمر كذلك فإن لدى شيئا لك .

واختفى مرة أخري فى الغرفة الخلفية ، وعندما عاد هذه المرة كان يحمل صندوقا آخر ناوله لبونس وهو يبتسم ابتسامة الانتصار ثم ارتد الى الخلف منتظرا رأى بونس .

راح هذا الأخير يقلب الصندوق بين يديه فاحصا ففتحه وشمه وتحسسه بأصابعه ثم ابتسم وقال :

ــ ممتاز! هذا هو ما أريد ياصديقى ، كم ثمنه ؟ (عشرة جنيهات يا سيدى) .

دفع بونس الثمن بدون تردد وهو يقول :

ــ أرجو أن تغلفه لى بعناية تامة فلا أريد أن تتلف نقوشه .

ابتسم أحمد مغتبطا وقال :

ــ هل تحب الفسيفساء ياسيدى ؟

قال بونس فى شئ من التفخيم :

ـــ أيها الشاب أن لى دراية بمثل هذه الأشياء وهذا الصندوق من أحسن الصناديق التى رأيتها من هذا النوع .

ارتد أحمد الى الخلف وهو ينحنى وقد تلألأ وجهه ثم أسرع الى الغرفة الخلفية ومنها سمعنا صوت حفيف الورق ، وبعد خمس دقائق ظهر أحمد وأعطى الصندوق المغلف لبونس ، وكان وجهه لايزال يتلألأ سرورا، ومع ذلك فقد بدا أنه يتلهف لأن يقول شيئا منعه الذوق من النطق به .

خرج بونس من المحل مبتهجا، ولكنه ما أن ألفى نفسه فى الشارع حتى استدعى سيارة ركبها فى نشاط وهو يذكر للسائق عنوان شارع برايد .

سألته ونحن فى الطريق :

ـــ ألم يخامرك احساس بأن أحمد كان يريد أن يقول لك شيئا ؟

(آه .. أنه قال لنا كل شئ) ..

وتألقت عيناه سرورا واستطرد :

ـــ أن أحمد فنان فى صناعة الفسيفساء وأظنك رأيت العاديات الثمينة المعروضة داخل المحل ؟

ـــ نعم ..

ـــ ألا توحى اليك بشئ ما ؟

ـــ بأن تجارتها رائجة كما قالت لنا مس مورلاند .

وربت بأصابعى على الربطة التى يمسكها بونس وقلت :

ـــ ألايبدو لك هذا الصندوق شديد الشبه بصندوق مس مورلاند ؟

ابتسم بونس :

ما أن تم صنع صندوق حتى أخذت له قوالب وأصبح نموذجا من السهل عمل صناديق أخرى على نمطه ، وكلها تتشابه طبعا .

وعدنا الى البيت ، وأزال بونس فى عناية أوراق التغليف عن الصندوق الذى اشتراه ثم وضعه بجوار الصندوق الذى جاءتنا به مس مورلاند ، كانا متشابهين فى كل النقاط فيما

عدا فارق المدة طبعاً، وفحص بونس الصندوقين فى اهتمام كبير بحثا عن أقل اختلاف بينهما .

وسألته أخيرا :

ـــ هل هما متشابهان أم لا ؟

ـ ليس تماما ، إن الصندوق الذى جاءتنا به مس مورلاند صنع منذ خمسة وسبعين سنة على الأقل وربما مائة سنة ، وقد صنع من نفس نوع الخشب الثمين الذى تصنع منه الملايو مقابض السيوف والخناجر والذى صنع منه مقبض الخنجر الذى قتل به الكولونيل مورلاند ، وقد صقل ولمع أكثر من مرة وهناك بعض الشقوق الظاهرة فى جوانبه ، أما الصندوق الآخر فقد صنعه صانع ماهر على غرار الصندوق الأول وأعتقد أن هناك طلبات كثيرة لمثل هذا النوع من السلع ولا شك عندى أنها موجودة فى كل المحلات المخصصة لبيع السلع المستوردة .

وأبعد الصندوق بأصبعه وقال :

ـــ ولكن ، لنر الآن ما الذى حصلنا عليه من مخدع الكولونيل مورلاند .

ومضي الى ركن من الغرفة يحتفظ فيه بمعداته الكيماوية وبدأ يفحص محتويات الظروف التى جاء بها من قصر مورلاند ، كانت هناك ثلاثة منها وكان من الواضح أنها ستشغله بعض الوقت وكان لابد لى من زيارة مريض فى الساعة الثانية فاعتذرت .

وعندما عدت قبل مضى الساعة وجدت بونس ينتظر مترقبا وقال :

ـــ آه يا باركر..أظن أنه ليس هناك ما يشغلك بعد ظهر اليوم ، إننى انتظر قدوم جامبسون وربما استطعنا أن ننهى ازعاج سكوتلانديارد لعميلتنا .

سألته :

ـــ هل علمت أي شئ عن هذه القاذورات ؟

ـــ تأكدت مما كنت أشتبه فيه فحسب ، فإن ذرات القذارة الموجودة فوق السجادة بجوار الفراش كانت مشابهة لتلك التى التقطتها من الممر المرصوف ومما لاريب فيه انها انتقلت الى داخل البيت مع أصابع قدمى القاتل والاكثر من ذلك كانت هناك تحت الفراش نشارة الخشب الذى يستعمله أهالى الملايو .

قلت :

ـ هذا يدل على أننا مازلنا مرتبطين بماضى الكولونيل مورلاند .

قال بونس فى هدوء :

ـ اننا لم نبتعد عنه أبدا، ولكن إذا لم تكشف سكوتلانديارد ، خلال التحقيق بصمات القاتل فوق مقبض الخنجر فستكون القرائن التى بين أيدينا مبنية على افتراضات غير أكيدة وأن من الخير طبعا أن نعرف شخصية القاتل ولكن كيف السبيل الى خداعه لادانته آه .. أننى أسمع صوت سيارة تقف أمام البيت ، لاريب أنه جامبسون .

وما هي إلا لحظة حتى انفتح الباب العمومى وسمعنا وقع أقدام تهبط السلم ، ودخل المفتش فى حذر وفى يده ربطة صغيرة أعطاها لبونس فى ارتياح كبير وهو يقول :

ـ هاك ما تريد يا بونس .. اننى جئتك بها على مضض .

صاح بونس :

ـ عظيم ! وأخذ منه الربطة ووضعها فى الصندوق الذى اشتراه من محل الستراند ثم قال :

ـ لا أظنك تحمل سلاحا يا جامبسون .

بدأ جامبسون يقول :

ـ ان تقاليد سكوتلانديارد .

ولكن بونس قاطعة قائلا :

ـ نعم .. نعم .. أننى أعرف ، هات مسدسى يا باركر ، وذهبت الي مخدعه وكان مسدسه موضوعا فوق المكتب فأخذته وقال بونس حين عدت به .

اعطه لجامبسون .

قال المفتش وقد ارتسم الشك فى وجهه :

ـ لا أدرى ماذا تنوى أن تفعل لاشك أن هذه الفتاة قد ادارت رأسك .

وكان بونس قد وضع ما بداخل الربطة فى صندوق الفسيفساء الذى اشتراه من محل بونس وأعاد تغليفه بنفس الورق الذى استخدمه أحمد فى تغليفه من قبل .

ـ هلم بنا الآن اننى أريد أن أقوم بتجربة يا جامبسون وأقول لك بصراحة أنها قد لاتفلح .

وكانت وجهتنا محل بيع السلع المستوردة فى الستراند و لم ينطق بونس بشئ طوال الطريق

وانما راح يصغى وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة الى حديث المفتش عن الظروف التى تشير الى أن عميلتنا هى التى قتلت عمها ..

وعندما اقتربنا من المحل تكلم يونس لأول مرة فقال للشرطى الذى يقود السيارة ان يقف سواء قبل المحل أو بعده بقليل وأطاعه ميكر وأوقف السيارة قبل المحل ببضعة أمتار وقال يونس فجأة وهو يخرج من العربة ..

ــ احتفظ بمسدسك على أتم الاستعداد وحاول أن تتخلى عن هيئتك البوليسية فانه شاب ذكى ماكر .

وتقدم يونس الى المحل وهو يحمل صندوق الفسيفساء المغلف الذى اشتراه منذ ساعات قلائل واسرعت امرأة اسيوية لاستقبالنا ، لم تكن تظهر عليها معالم عمرها هى الأخرى .. كان يمكن أن تكون بين العشرين والأربعين ولكن مما لاشك فيه انها لم تكن قد تجاوزت الثلاثين وقالت :

ــ هل من خدمة أستطيع أن أقدمها لكم أيها السادة ؟

قال يونس وهو يزيل الورق عن الصندوق :

ــ اين الشاب الذى كان هنا بعد ظهر اليوم .

هزت المرأة رأسها ونادت بصوت مرتفع :

ــ أحمد .

وتنحت جانبا وأقبل أحمد وفى عينيه نظرة تساؤل مهذبة وعرف يونس ووقعت عيناه على الصندوق فقال :

ــ سيدى .. هل هناك شئ على غير مايرام .

قال يونس :

ــ لابأس من حيث جمال نقوشه ولكن ليس من حيثما بداخله .

تقدم أحمد فى خفة ونشاط وأخذ الصندوق وأزال الأوراق الباقية وهو يقول :

ــ سوف نرى .

وانحنى فى تذلل وفتح الصندوق ..

وتغيرت ملامحه على الفور بصورة مخيفة فاختفت ابتسامته وزالـــت عنه رقته وأدبه

وحلت محلها نظرات قاتلة ، واضطرم وجهه لفرط غضبه وفزعه وأوقع الصندوق فتدحرجت منه يد الكولونيل بيرتون مورلاند المقطوعة ، وفى نفس الوقت انتزع من الحائط خنجرا وتحول إلى بونس مهددا .

ومرت لحظة قصيرة على هذا الموقف ثم سرت الرعشة فى بدن مسز مورلاند ، وأسرعت إليها قبل أن يغمى عليها ، وفى نفس الوقت أخرج المفتش جامبسون المسدس وصوبه نحو أحمد .

قال بونس :

ـــ أهنئك أيها المفتش فأنك القيت القبض الآن على قاتل الكولونيل مورلاند ..

وأردف يقول فى رقة :

ـــ ولو كنت مكانك لاصطحبت مسز نيقولاس مورلاند معى لاستجوابها عن الدافع المغرض الذى حملها على تحريض أحمد على قتل عم زوجها فانى اعتقد انها هى العقل المدبر الذى خطط لهذه الجريمة البشعة ، هل تعود السيدة إلى رشدها ياباركر .

قلت :

ـــ انها فى سبيل ذلك .

قال جامبسون وقد استرد صوته :

ـــ ادع ميكر .

وأسرع بونس إلى الباب ونادى ميكر .

قال بونس ونحن نعود الى شارع برليد عن طريق مترو الانفاق :

ـــ كانت هناك حقيقة مؤكدة وهى انه لم تأت أية سفينة من الملايو فى الأيام الأخيرة وبهذا استبعدت فكرة الانتقام ، وكانت هناك حقيقة أخرى وهى التى أهتم بها جامبسون فإن القاتل كان على معرفة بقصر مورلاند وهذا أمر لايمكن أن يعرفه أى رجل غريب ، و لم يكن هناك ريب فى أن القاتل أتيحت له كل الفرص لكى يصنع مفتاحا للباب الخلفي مادام قد أثر أن يدخل منه بدلا من أن يدخل من الباب الذى يرقد الكلب أمامه ، ثم انه لم يمس أى شئ فى القصر فيما عدا غرفة الكولونيل مورلاند و لم يسمع أحد أى صوت عند دخول القاتل أو عند ارتكاب الجريمة .

ومع ذلك فقد كان من الواضح ان القاتل كان على علم بالإهانة التى لحقت ببندارلو على ، و لم تكن مس مورلاند تعرف شيئا عنها ولكن ابن عمها كان يعلم بأمرها، ومن المفروض أن تعرف زوجته بأمرها هى الأخرى لأنها من أسرة بندارلو على ، ولأنها كانت فى الملايو وقت المأساة ، ومن المفروض أيضا أن ابن عمها أحمد يعرف القصر وكل ما يحيط به ونشارة الخشب جعلتنى أتأكد كل التأكيد من انه كان فى غرفة الكولونيل مورلاند .

ومن الواضح ان الخطة دبرت ببراعة كبيرة فإن مسز مورلاند أمرت ابن عمها بأن يرسل يد بندارلو على، إلي الكولونيل مورلاند فى صندوق الفسيفساء الذى استقدمته من الملايو لهذا الغرض ، و لم تجد أى خوف من استخدام الصندوق لأنها كان قد أصدرت تعليماتها لأحمد باسترداده واحضاره معه وقد قتل الكولونيل مورلاند انتقاما لشرف الاسرة بعد موت بندارلو على، ولكننى أعتقد أن مسز نيقولاس مورلاند حرضته على ارتكاب الجريمة مستغلة فكرة الانتقام التى تجيش فى صدره فى حين ان دافعها الحقيقى هو الاستيلاء على ثروة مستر مورلاند كلها وقد أسفر التحقيق فعلا عن صحة هذا الاعتقاد واعترف أحمد بأنه قتل الكولونيل مورلاند بإيعاذ من زوجة نيقولاس وأخلى سبيل الانسة فلورا ، وكافأت بونز بمكافأة كبيرة .

****

الفصل الثالث

مازلت أحاول أن أعرف كيف حدث هذا ، ومازلت أقدح زناد فكرى وأظل مستيقظا طوال الليل أفكر كيف بدأ هذا الأمر ، ورأيت أخيرا أننى ربما إذا دونت الأحداث حبراً على الورق فقد أستطيع أن أتغلب على ذلك اليأس الأسود ، والشئ الوحيد الذى يتعين على أن أقوم به هو أن أتوخى الصدق وأن لا أختلق أى شئ أو أن أهول فى أى شئ .

لم يكن بينهما أى وفاق وكان فى مقدور أى شخص أن يدرك ذلك ، كانا يتناقشان ويتجادلان فى كل شئ وبدون سبب ، كانا يتناقشان فيما يمكن أن يكون عليه الطقس فى اليوم التالى ،لا لأن احدهما كان يعرف ذلك عن ثقة ولكنك إذا أصغيت إليهما خطر لك أن كلا منهما خبير فى الأمر ، كانا يقضيان وقتهما فى التراع والشجار بحيث أننى كنت أسدى اليهما خدمة .

كنت اراهما أكثر من أى شخص آخر طبعا ،لأنني كنت أقيم فى البيت الملاصق لهما ، وكنت أسمع شجارهما وعراكهما ليلا ونهارا ، فكانا يصفقان الأبواب ويصرخ كل منهما فى وجه الآخر ، ولم تكن تريد ذلك ولكن لم يكن يسعها أن تفعل شيئا آخر، وبدأ الأمر يثير أعصابى وبدأت أزورهما فقد خطر لى أننى إذا فعلت ذلك كفا عن العراك والشجار أمامى ، ولكن ذلك لم يأت بأية نتيجة .

بل أن من أسباب شجارهما أنها كانت أصغر منه سنا كما لو أن الغلطة فى ذلك غلطتها هى .

وكان قد أحيل الى المعاش وجعله هذا يشعر بأنه أكبر منها سنا ، وكان يبقى فى البيت طوال الوقت فيما عدا الفترة التى يقضيها فى صيد السمك وكان يقول إن هذا أحسن شئ

يقدم عليه كل من يحال إلى المعاش .

وقد أيدته فى ذلك لأننى كنت أقضى كل وقتى فى صيد السمك معه .

ثم خرج بعد ذلك للصيد وحده بضع مرات، لم أرافقه فيها بل كنت أمضى إلى البيت المجاور واتحدث معها ، وكنت أجدها عندئذ مختلفة كل الاختلاف فلم تكن تجادلنى أو تناقشنى فإذا قلت لها ان القهوة باردة لاتنطق بكلمة وتكتفى بأن تعيدها فوق الموقد لتسخينها ، وكان صوتها رقيقا دائماحلوا به لمسة من الحنان وكنت أدرك تماما أنه هو الذى يتسبب فى عدم الانسجام فى البيت ، وانه لو اختفى ..

وكنت قد فكرت فى هذا الأمر كثيرا بحيث اننى لم أدهش عندما قالت لى :

ــ لو أنه اختفى .. و لم يكن لها أن تقول شيئا آخر بعد ذلك فقد قلت لها أن تسكت وأن تترك كل شئ لى ، ما كان لها أن تقول لى ذلك لأننى قلته لنفسى من قبل ، بل إننى قلته لنفسى مرة ، وحدى فى جوف الليل .

ومن حديثى معها عرفت أنه إذا حدث شئ فستظل تتقاضى معاشه طوال حياتها بالاضافة الى مبلغ وثيقة التأمين ، فقد كان مؤمنا على حياته وكان من شروط وثيقة التأمين أن تدفع الشركة المبلغ مزدوجا لورثته إذا مات فى حادث .

ودبرت كل شئ بعناية كبيرة ، فإنها بالمعاش الذى ستتقاضاه مضافا الى معاشى ومبلغ التأمين المزدوج سيتسنى لنا أن نعيش فى بحبوحة ، ثم أننا لن نحتاج إلى الاقامة فى بيتين وأستطيع عندئذ أن أعرض بيتى للإيجار وسيأتينى بمبلغ لا بأس به .

ستكون حياتنا رغدة سعيدة بعد أن نتخلص منه .

وقد قررت أن أتخلص منه نهائيا عندما رأيته يرفع يده عليها ويضربها وقد نسيت السبب الذى دفعهما إلى الشجار عندئذ ولكن يمكنك أن تثق بأنه هو المتسبب فى ذلك مهما يكن من أمر فقد لطمها على فمها قائلا :

ــ أخرسى ..

و لم أقل شيئا فى ذلك الوقت ولكننى نظرت إليه فى غلظة وحدثت نفسى أقول :

ــ أنت الذى نطقت بها أيها السيد وليس أنا .. ان بالبيت هنا شخصا يجب أن يخرس الى الأبد .

وبدأت أفكر فى الخطة عندئذ ، كان يجب أن يبدو الأمر كما لو أن حادثا وقع قضاء وقدرا لكى تحصل على مبلغ التأمين المزدوج ، وكان يجب أن أتوخى كل حرص وكل حذر حتى لايرقى الشك إلى وأن أدبر الأمر بحيث لايخطر لأحد أن لى يدا فيه .

وكان أفضل مكان لذلك هو المكان الذى يصطاد فيه ، سنكون وحدنا فى القارب ومعنى هو أن احمله على المجئ معى فى قاربى وكان هذا عملا هينا لأنه كان متلهفا نافذ الصبر وكان كل ما على هو أن أحصل على محرك جديد وان أريه له، وكنت أعرف أنه سيحسدنى عندئذ لأننى سأستطيع الوصول الى مكان الصيد قبله بنصف ساعة على الأقل .

وبعد أن رافقنى مرة افترض أننا نستطيع أن نخرج للصيد معا فى قاربى كلما سنحت الفرصة لذلك ، و لم أبال بالأمر لأنه كان جزءاً من الخطة فبذلك يعتاد الأهالى على رؤيتنا معا، ولولا أنها كانت جزءاً من الخطة فإننى أعتقد أننى ما كنت لادعه يركب معى بعد أول مرة فإنه لم يكن يجلس ويصطاد وانما كان يحلو له أن يجلس ويتحدث ، وكان من السهل أن يفهم المرء لماذا لايتفق هو وزوجته فقد كان صوته يثير الأعصاب بصورة لايمكن تصورها، وكان على أن أروض نفسى وأن اكون لطيفا وأن أرد عليه بين حين وآخر بحيث إذا عدنا ليلا يخطر لكل من يرانا أننا صديقان .

وكان هذا شيئا آخر أردت أن يعتاد الأهالى عليه ،وهو أننا لم نكن نعود أبدا إلا بعد أن يجن الليل ، وكان عنيدا على طريقته ، وقد حدث أن اصطدنا سمكا بعد أن خيم الظلام فلم أجد بعد ذلك أى عناء فى اقناعه على البقاء حتى يدلهم الليل بعد ذلك ، وبهذه الطريقة إذا حدث ووقع من القارب فاننى أستطيع أن أقول عندئذ انى بحثت عنه وظللت أبحث عنه وأنني لم أجده بسبب الظلام ، وكان بدينا وكنت أعلم أنه لا يجيد **السباحة** ، وقد أعترف لى بذلك أثناء حديثه لى .

و لم أتعجل الأمر لأننى كنت أعلم أنه كلما تعود الناس على رؤيتنا كلما تأكدت لهم صداقتنا بحيث يعتقدون أن موته جاء قضاء وقدرا وأن لايد لى فيه .

و لم أحدثها بشئ عن خطتى فكلما أخفيت عليها كان ذلك أفضل ، حتى إذا استجوبها رجال البوليس أو رجال شركة التأمين لاتستطيع أن تقول لهم شيئا .

وذات يوم ، حين عرفت أننى لم أخرج للصيد معه جاءت إلى بيتى، وكنت أعرف أن

ذلك ليس سليما ولكننى تركتها تدخل مع ذلك وأسدلت كل الستائر حتى لايراها أحد من الخارج ، وعندئذ راحت تبكي ولما ألمها مطلقا لأننى كنت أعرف أنه خسيس وشككت فى أنه كان يضربها كثيرا .

و لم تقل انه ضربها ولكننى كنت متأكدا من ذلك ، و لم تنكر عندما سألتها بل ازدادت نحيبا وقالت انها لم تعد تستطيع الاحتمال وانه إذا لم يحدث شئ سريعا .

حسنا، بعد أن عادت الى بيتها رفعت كل الستائر ثم جلست ورحت أفكر وكنت لا أزال جالسا وقد استغرقت فى التفكير عندما رفعت عينى فجأة فرأيته يدور بالبيت خلسة ، وأدركت انه عاد مبكرا لكى يتجسس عليها ، و لم أدر ماذا كان يتوقع أن يجد لأنها لم تكن ترى أحدا آخر غيرى .

وفى اليوم التالى اعتذرت عن الخروج معه مرة أخرى .. أردت أن أرى ماذا سيفعل عندئذ ولكنه لم يقل شيئا وإن كان قد نظر الى بطريقة غريبة .. وبدأ يجمع أدواته لكى ينقلها إلى زورقه ، وأخذت أراقبه والقارب يبتعد به وأدركت سبب تلهفه على مرافقتى عندما رأيت قاربه ينطلق ببطء شديد ، ولما غاب عن نظرى ذهبت إلى بيته وطرقت الباب .

ودهشت عندما رأتنى لأننى لم أقل لها أننى لن أخرج للصيد معه وحدثتها بتجسسه عليها فانزعجت وتوسلت الى أن لا أقول له أننى رأيته فقد يشتبه فى شئ خاصة وأنه شديد الغيرة ، بل أنه ليغار من صبى البقال ومن اللبان ، وأسوأ من ذلك كله انه يغار من أخيه الذى لم تره منذ وقت طويل .

وأتذكر انها انفعلت جدا فى ذلك اليوم وراحت ترفع قميصها لتغطى صدرها المكشوف أكثر من اللازم وخطر لى أن اتحدث معها بخصوص ثيابها فيما بعد لأنه ليس من المعقول لامرأة فى سنها أن تلبس قميصا يكاد يكشف عن صدرها وشورتا قصيرا لايكاد يستر نصف فخذيها، لم يكن فى ذلك أي ضير ونحن وحدنا ولكنه معيب جدا أمام الآخرين .

ومع ذلك فكل ما قلته لها فى ذلك اليوم هو أن تصبر وأنها لن تحتمل هذا العجوز أكثر من ذلك ، وهدأت عندما قلت لها هذا ، وعدت الى بيتى ، و لم يكن لديها طبعا أية فكرة عما كان يدور فى ذهنى عندئذ .

وجئت بقبضة مجداف قديم أخفيتها فى قاربى ، وتحت طوق النجاة وكنت أنوى أن أضربه

بها على أم رأسه ثم ألقيها فى عرض البحر حتى إذا حدث تحقيق بأية صورة لايعثر المحققون على أى أثر للدماء في القارب ، وكان اليوم الذى اخترته جميلا صافيا ، وذهبت الى بيتها فى وقت مبكر، وأعدت لنا الأفطار وانتظرنا حتى اعدت لنا طعام الغداء لكى نأخذه معنا، وعندما هممنا بالأنصراف سألتها ألا تنوى أن تودعه ، فنظرت إلى نظرة سريعة لكى ترى أن كنت أعنى شيئا خاصا ، و لم أنطق بشئ ولكن لاشك انها أدركت الأمر مما ارتسم على وجهى لأنها ابتسمت وودعتنا .

وبعد أن مضينا إلى مكاننا المعهود لم يكن هناك ما أفعله لكى أجعل الوقت يمر سريعا و لم يسعنى إلا أن أجلس مكانى وأن أصغى اليه وهو يتكلم .. تكلم عنها وعن صبى البقال واللبان وعن أخيه الذى أغرمت به مرة و لم أستطع مجادلته لأننى كنت أعرف أن هذه آخر مرة أصغى اليه فيها .

وأدركت أن اليوم سيكون جميلا عندما بدأت اصطاد السمك قبله ، كنت أجلس دائما فى المؤخرة لكى يتسنى لى أن أدير المحرك

فى حين كان يجلس هو فى المقدمة ، واصطدت سمكة كبيرة حمراء فتذمر عندئذ وقال أن السمك يتجمع كله عند مؤخرة القارب بحيث عرضت عليه أن نتبادل مكانينا .

وتم لنا ذلك ، ورأيت عندئذ الفرصة سانحة لكى ألقى به فى عرض البحر وهو واقف هكذا يحاول الاحتفاظ بتوازنه ، ولكن الوقت كان لا يزال مبكرا بحيث خشيت أن يأتى أحد غيري فيرى أنني جالس اصطاد وحدى ولهذا رأيت أن أنتظر .

و لم يلبث أن أصابه التوفيق فبدأ يصطاد السمكة أثر الأخرى ولهذا لم يتعين على أن أشجعه على البقاء ، وكان الظلام قد جن عندما أبدى رغبته فى التوقف عن الصيد وهو جد مسرور ، ولما كان جالسا فى المؤخرة فقد عرضت عليه أن يتولى هو قيادة القارب لكى نعود الى البيت ، وأظن أن عرضى هذا أدهشه لأننى لم أكن أدعه يلمس المحرك أبدا ، ولأننى لا أرضى عن طريقته فى الملاحة .

وقلت له أن يفحص المحول وأن يتأكد أن الرفاص سليم لم تتعلق به أية أعشاب ، وبدا له هذا الأمر طبيعيا لأنني حرصت على أن أفعل ذلك أمامه مرارا .

وكان منحنيا فوق الرفاص عندما ضربته بقبضة المجداف فترنح و لم أجد صعوبة فى أن ألقى

به من فوق القارب، و لم يكن قد مات لأن ارتطامه بالماء أعاده الى الصواب قليلا فراح يضرب بيديه حول القارب ، وحرصت على أن يكون القارب بعيدا عن متناول يديه حتى لا يتشبث بحافته ، ونظر إلى مشدوها غير مصدق قبل أن يهوى إلى القاع ويختفى .
وانتظرت نحو نصف ساعة لكى أتأكد من أنه لن يظهر ثم ألقيت بطوق النجاه فى الماء ، وبعد لحظات أدرت المحرك وعدت إلى المرسى بعد أن طوحت بقبضة المجداف التى ضربته بها فى مكان آخر بعيد عنه .

وكان القوم عند المرسى جد متفاهمين ، وأدركت فجأة اننى كنت أستطيع أن أوفر على نفسى كل هذه المتاعب لأن أحدا منهم لم يشك فى القصة التى ذكرتها لهم ، واجمعوا كلهم على أن جثته لن تظهر أبدا بسبب الحيتان وأسماك القرش .

وقامت هى بدورها خير قيام ، وبدا ذهولها حقيقيا من هول الصدمة ، بل انها راحت تصرخ فى هستيريا تامة ، وقبلت إحدى الجارات أن تبقى معها فى تلك الليلة وبذلك لم أستطع أن أتحدث معها .

وكان الوقت متأخرا عندما فرغت من تقديم تقريرى لرجال البوليس ، وكنت متعبا ومرهقا جدا بحيث غلبنى النوم بمجرد أن أويت الى فراشى .

ولا أدرى فى أية لحظة سمعت تلك الضجة فى بادئ الأمر ، كان يمكن أن يكون مصدرها احتكاك بعض الأغصان بسبب الريح ولكنها بدت للجميع كما لو كان بعضهم يئن ويتألم ، و لم تزعجنى تلك الضجة فى البداية ولكننى لم أجد للنوم سبيلا على الرغم من أننى سحبت الغطاء فوق رأسى ، ثم سمعت خطوات بطيئة .

هكذا بدت على الأقل ولكننى فكرت أن هذه سخافة فلم يكن فى الاستطاعة أن أسمع خطوات لأنه لم يكن بالبيت أحد آخر غيرى .

وكان الصوت الثانى الذى سمعته مألوفا لدى فقد كان صوت باب مخدعى وهو يفتح ، ورفعت عينى ورأيته واقفا والماء يتساقط منه ، لم ينطق بكلمة ما وما كان له أن ينطق بشئ لأننى أدركت أنه جاء من عالم الموت ليتهمنى .

وعندئذ بدأت أصرخ وظللت أصرخ و لم أستطع أن أتوقف ، و لم أمسك عن الصراخ حتى بعد أن جاء بعض الرجال ووضعوا قميصا جبريا حول كتفى منعنى عن الحركة أو حتى

بعد أن نقلوني إلى حيث أنا الآن .

و لم أمسك عن الصراخ حتى بعد أن جاء الطبيب وقال بصوته الرقيق انهم لم يعثروا على جثته أبداً ، و لم أمتنع عنه كذلك عندما قال لى الصوت انها تزوجت بعد الحادث مباشرة بأخى زوجها الذى كانت تحبه حقا ، وقد حاول الصوت أن يحملنى على الاعتقاد بأن الأخ الذى فتح باب مخدعى ووقف بعتبة الباب والماء يقطر منه .

لم أمسك عن الصراخ ومازلت أصرخ حتى الآن .

****

الفصل الرابع

كان أول ما سمعت عن الجريمة نبأ أذاعه الراديو لها وهى فى المطبخ فى أصيل يوم من أيام الصيف ، فقد قال المذيع إن جثة امرأة شابة وجدت فى زقاق مسدود فى الشارع الرئيسى .

وأقبل كلايد بعد ذلك بقليل ، ورأته لويز من خلال النافذة يوقف سيارته المكشوفة ويهبط منها هو ومارى ماري ، الكلبة الصغيرة ذات الأذنين الكبيرتين والشعر الغزير العسلى تسرع إليه تحييه .

وانحنى كلايد فوقها، وشد أذنيها الطويلتين فى رقة وتحدث إليها ، وهزت الكلبة ذيلها وتساءلت لويز أى سحر ينبعث من كلايد .

كان يبدو كأن سحرا ينبعث منه حقا ، وأن هذا السحر دفعه الى أن يكون باحثا كميائيا مشهورا بشركة الكتريك بلانت ، وكان شابا وسيما طويل القامة ، ملك فؤادها عندما وقعت عيناها عليه لأول مرة وتزوجا منذ عام .

وسمعته يناديها باسمها وهو يدخل البيت ، ولكنها دهشت إذ رأته لايدخل المطبخ ليقبلها كعادته ، وراحت تعمل فى صمت ، وهى تحاول أن تلتمس له عذرا وتحدث نفسها بأن هناك ما يشغله من غير شك ، وانها حساسة أكثر مما ينبغى وتتألم من أقل شئ .

وسمعته يصعد إلى الطابق العلوى ثم لم تلبث أن سمعته يصفق الباب الخلفى فعرفت أنه خرج إلي الحديقة ، ولاريب أنه كان مستغرقا فى فكرة معقدة تلح عليه تدور حول الطبيعيات ، وأدارت الراديو ورفعت صوته.

وسمعت نبأ آخر عندئذ يقول أن البوليس عرف شخصية المرأة القتيل وإنها تدعى برتا سيشتر ، وأنه يعتقد أن القاتل نقلها فى سيارتها هى بالذات إلى الزقاق المذكور ثم ألقاها فيه ، وإن حركة المرور كانت على أشدها فى الشارع فى ذلك الوقت ، وان الزقاق

مسدود وأن هناك من رأى القاتل وهو يقود السيارة بلاريب وأذاعوا وصفا للسيارة وطلبوا من كل من رآها أن يتصل بهم .

وعندما استدارت لويز رأت كلايد واقفا بعتبة الباب ، ولما كانت تعرف أنه لايميل إلى الراديو فقد أدارت المفتاح وأسكتته على الفور وقالت تعتذر:

ــ كنت أصغى إلي الأنباء .. ومن يدرى ، لعلك رأيته أنت يا كلايد فإنك تمر فى عودتك من هذا الشارع دائما .

قال :

ــ انىٰ غادرت المكتب منذ وقت طويل لحسن الحظ .

ــ ولماذا لحسن الحظ ؟ (حسنا .. لسوء الحظ أذن) .

وانحنى بطريقة مبالغ فيها ثم استدار ومضى إلى غرفة المعيشة ، وبعد دقائق ، عندما صعدت الى الطابق العلوى رأت أنه صب لنفسه شرابا وراح يحتسيه فى هدوء ، وهو يتأمل الموقد الفارغ ، وظنت أنه مازال يفكر فى المسائل الطبيعية ، فمضت إلى دورة المياه وهناك رأت الضمادة الملوثة فى سلة المهملات ، وعزمت على أن تسأل كلايد إن كان قد جرح نفسه ، ولكنها نسيت الأمر و لم تسأله إلاعندما نضا عنه ثيابه ورأت ضمادة حول ساعده العلوى فسألته .

هل جرحت نفسك ؟

قال :

ــ إن مارى خدشتنى من شدة حبها لى .

قالت لويز :

ــ ولكن ..

ثم أمسكت ، فقد كان مرتديا سترته عند عودته و لم يخلعها عنه طوال الوقت فكيف استطاعت مارى أن تخدشه فى ساعده العلوى .

قال :

ــ ولكن ماذا .. إنك تركتنى معلقا فى الهواء .

ــ أجابت :

ـــ لا شئ .. إنما أفلتت منى الكلمة عفوا .

بدا يقول :

ـــ ومع ذلك ..

ثم سكت بدوره فقالت :

ـــ أرأيت ..انك فعلتها أنت أيضا .

فأخذ يقهقه ..

وفى الصباح كانت أنباء الجريمة تتصدر الصحيفة المحلية ، فقد أطلقت رصاصتان على برتا سيشتر ، ووجدت سيارتها مهجورة على بعد نحو عشرة أميال ، وبها آثار دم مما يدل على انها قتلت فى السيارة وان جثتها نقلت منها ، وثبت من التشريح أنها كانت حاملا فى شهرين ، كما دلت الآثار التى رفعوها من قلامات أظافرها على أنها قاومت قاتلها وخدشته ويعتقد البوليس أن عشيقا لها قتلها .

وذكرت الصحيفة بعد ذلك عدة تفاصيل خاصة عن حياتها، فقالت أنها تزوجت مرتين وطلقت ، وانه ألقى القبض عليها مرة لقيادتها سيارتها وهى مخمورة ، ومرة أخرى لتحريرها شيكا بدون رصيد، وإنها اشتغلت فترة فى شركة أونيون الكتريك واستقالت منها فى ابريل الماضى .

ألقت لويز الصحيفة من يدها وقالت :

ـ لاشك إنك تعرفها .

قال كلايد :

ـــ إننى التقيت بها ، اشتغلت فترة فى السكرتارية وهى شقراء فاتنة وأظن أن الشركة طردتها .

قالت لويز وهى ترتجف يالها من نهاية فظيعة .. ياللمسكينة !

لاشك أنها لقيت ما تستحق .

ونهض واقفا ودار بالمائدة وطبع قبلة على وجنتها وقال :

ـــ إلى الملتقى مساء اليوم .. هل هناك مواعيد الليلة .

ـــ كلا .. سنبقى وحدنا فى البيت .

قال كلايد :

ـــ عظيم .

وخرج وشيعته مارى .. إلى الخارج فى حماسها المعروف .

وبقيت لويز أمام المائدة وأعادت قراءة الصحيفة ، وعندما دق التليفون انتظرت لحظة قبل أن تنهض ، وبدون ما سبب تذكرت المرات السابقة التى صلصل فيها جرس التليفون منذ نحو أسبوعين والتى لم يتكلم فيها أحد كما لو ان الطالب كان يريد أن يتحدث إلي كلايد دون أن تعرف زوجته ذلك وعندما أخذت لويز السماعة أخيرا سمعت أختها تتكلم ، وتسألها إن كانت تحب أن تمضى إلى المدينة ، وأن ترافقها لشراء بعض حاجياهٍا ثم تدخلان السينما معا بعد ذلك فأجابت :

ـــ كلا .. شكرا لك ولكننى لا أشعر بأى ميل لذلك .

ـــ ساذهب وحدى اذن .. ولكن اخبرينى يا لويز ، هل قرأت نبأ الجريمة ؟ يقال أهٍا كانت تخرج مع رجل وسيم طويل القامة ، وأن البوليس يبحث عنه الآن قولى لكلايد أن يكون حريصا .

قالت لويز :

ـــ هلا تركت المزاح ؟

وبينما كانت تقضم احدى الشطائر سمعت الراديو يدلى ببيان ، ويقول ان برتا سيشتر تناولت الغداء مع رجل مجهول لم تعرف شخصيته بعد يوم الخميس منذ اسبوعين فى مطعم ايطالى يقع بالشارع الرئيسى ، وأن الساقية التى قامت بخدمتهما سمعت الرجل يهددها قائلا :

ـــ إذا حاولت ذلك فسوف أقتلك .

ورأت الساقية صورة برتا فى الصحيفة فتذكرت ذلك الحادث على الفور وذكرت اهٍا تستطيع معرفة الرجل إذا رأته ، ووصفته بأنه وسيم طويل القامة ، وقالت أنه كان يلبس ربطة عنق حمراء مرسوم عليها حدوة حصان باللون الأسود، واهٍا تتذكر ذلك جيدا، لأن الرجل نقدها بقشيشا كبيرا قدره خمسة دولارات وهذا أمر نادر الوقوع .

وكان كلايد سخيا دائما، وكانت لديه ربطة عنق حمراء مرسوم عليها حدوة حصان

باللون الأسود أهديتها له لويز يوم عيد ميلاده .

ونهضت فى بطء وارغمت نفسها على أن ترقى الدرج ، وإن تفتح دولاب ملابسه وتفحصه ، كانت ربطة العنق الحمراء غير موجودة و لم يلبسها صباح اليوم .

وجلست فوق الفراش ، وكان من السخف أن تفكر فى ذلك الأمر.. كلايد ياللسماء كلا ، وإذا كان هذا قد حدث وقتل تلك المرأة حقا فإنه ليس من الغباء بحيث لايدرك أن أمره لن ينكشف .. إنها وجدت بعض رسومات معقدة بها رموز لاتينية وعلامات واشارات ترمز إلي المشروع ..ج .. أى مشروع الجريمة .. ثم أنه من ناحية أخري رجل حديدي الأعصاب حقا ..

ولكن ماذا يفعل إذا ما تعرض لضغط ما.. إذا كانت له زوجة وعمل وسمعة يحرص عليها وامرأة مثل برتا سيشتر، تحاول أن تهدده ؟.

اطبقت لويز أصابعها وكرهت نفسها بسبب هذه الأفكار التى تصطخب فى رأسها، ولكنها لم تستطع أن تطرحها عن ذهنها، وتذكرت رغما عنها تلك الليلة ، بعد أسابيع قلائل من زواجها ، وكانت جالسة تحيك زرا فى جاكتته وقد أحست فى ذلك الوقت بالفخر بصورة عجيبة وبالهدوء والأمان إلى أن دخل وهو يبتسم وقد يده مسدس .

صاحت مذعورة :

ـــ كلايد .. ما هذا ؟

أجاب :

ـــ مسدس من عيار ٣٨ .

قالت فى صوت خافت :

ـــ ابعده عنى .

ـــ ولكن يجب أن يكون معك سلاح لكى تدافعى به عن نفسك عندما أكون بعيدا .

ـــ إننى أخاف من المسدسات وأكره منظرها .

قال :

ـــ حكمي عقلك ، إن هذا إلا مجرد احتياط ، وأرجو ألا تضطرى إلى استخدامه ، ولكن إذا حدث العكس فيجب أن تعرفى كيف تستخدمينه .

خفضت عينيها إلى يديه ونظرت اليه وهو يعالج المسدس وقالت :

ـــ أرجو أن تبعده عنى .

قال فى استغراب :

ـــ إنك خائفة حقا ، حسنا لاحاجة بك إلى لمسة ، سأضعه فى درج الطاولة حتى يكون فى متناول يدك إذا احتجت اليه .

ارتعشت رغما عنها وقالت :

ـــ اذا وضعته فى تلك الطاولة فلن أرقد أبدا فى هذه الغرفة .

قال فى رقة :

ـــ لاتقلقى يا حبيبتى ، سأضعه فوق الرف بحيث لاتقع عيناك عليه ولكننى أحب أن تعرفى مكانه ، تعالى معى .

وتبعته صاغرة ورأته يضع المسدس فوق رف بدولاب ثيابها خلف الصندوق الذى يضم الأحذية التى لاتلبسها .

وعاد الأمر إلى ذهنها فى هذه اللحظة ، كما عاد الى ذهنها منظر آخر حدث منذ شهر ..

كانت جالسة فى غرفة المعيشة ترفو جوربا، واجتاز كلايد الغرفة والمسدس فى يده وقال : (سأهبط إلى القبو فأننى أريد أن أجرب هذا المسدس) .

وانتظرت وهى على أعصابها أن تسمع الطلقة ، و لم تستطع أن تمسك بالإبرة وراحت تعد فى صمت عندما دوت الطلقات أخيرا وراحت تهز البيت والجدارن ، وصرخت عندئذ وأسرعت إلى الخارج ، وأقبلت مارى مارى فوقفت لويز وعانقتها قائلة :

ـــ كيف يستطيع أن يفعل بى هذا ؟ أواه يا مارى مارى .

وكانت لاتزال ترتعش متشبثة بالكلبة عندما جاء كلايد بالمسدس وقال :

ـــ أننى آسف لم أقصد افزاعك وأعاد المسدس مكانه فى نفس الليلة كانت واثقة من ذلك ، ولكن هل لايزال المسدس مكانه ؟

نهضت واقفة على مضض ، ومضت إلى الدولاب وفتحته، واستطاعت أن ترى صندوق الأحذية مكانه، لكنها لم تستطع أن تمد يدها إليه ، لم تشأ أن ترى إذا كان المسدس لايزال مكانه أم اختفى لأن من الأوفق أن تختفى بعض الأشياء من الأوفق أن يعيش المرء

فى ظل من الشك ، وأن يبقى متشككا لأن نهاية الشك يمكن وأن يكون شيئا اسوأ .

واستدارت وهبطت ، اذا كان كلايد قد استخدم المسدس فلايمكن أن يتركه مكانه ، وبناء على ذلك لابد أن يكون قد اختفى .

ولكن كانت هناك شكوك أخري ، وعادت إلى ذهنها ذكريات أخرى وقويت الشكوك فقد قالت تلك الساقية للبوليس أن برتا سيشتر ، تناولت الغداء مع رجل غير معروف يوم الخميس ، منذ أسبوعين .

تذكرت لويز تلك الليلة فقد أخبرها كلايد أنه لن يعود لتناول الغداء ، وانه سيتغدى مع بعض زملائه ، ثم يمضون بعد ذلك إلى اجتماع علمى، وقال انه ربما يتأخر ولكنه عاد إلى البيت فى وقت مبكر قائلا :

ــ سرعان ما انفض الاجتماع فقد أبدى الجميع موافقتهم ، وهذا أمر غريب لم يسبق حدوثه .

ومضت إلى المطبخ وصدي صوته لايزال يرن فى أذنيها، وجلست أمام المائدة ، وكان كوب اللبن مازال مكانه بجوار الشطيرة التى لم تأخذ منها غير لقمة واحدة، ولكنها لم تلمسهما .. لم تشعر بأى ميل للأكل .

والمرات الأخرى التى خرج فيها كلايد ؟ تلك الليلة التى اتصل فيها تليفونيا وقال :

ــ لويز .. أنا الآن فى الينفيل .. أظن اننى سأبيت فى الكوخ .

سألته :

ــ ولكن ماذا تفعل هناك ؟

كان الكوخ مكانا خاصا استأجراه لقضاء شهر العسل ، ولكنه راق لهما وأحباه كثيرا، فاشترياه على الرغم من افتقاره إلى التركيبات الصحية الحديثة، وعلى الرغم من سقفه الذى ينفذ منه الماء .

وقد أجابها قائلا :

ــ كنت أقود السيارة وأنا أفكر فى بعض المعادلات فإذا بى أجد نفسى أمام الكوخ ، ولما كان الوقت متأخرا فقد رأيت من الأوفق أن أقضى الليلة فيه .

فهل كان حقا فى الينفيل فى تلك الليلة ؟

لم تدر.. هزت رأسها فى إعياء ، ونهضت وفتحت الثلاجة وأخذت كوب اللبن والشطيرة فوضعتهما بها، لعله يمكنها أن تأكل فيما بعد ، ولعله يمكنها أن تكف عن التفكير .

ولكنها لم تستطع ، فحاولت أن تشغل نفسها بالاهتمام بالحديقة ، ولكنها لم تفلح ، فدخلت وجلست وراحت تحدق فى الجدار .

وفى الساعة الثانية أقبل البوليس .

جاء رجل عليه سمات الجد ، ويلبس بذلة داكنة وقال :

ــ أنا المفتش تيللر ، أريد أن ألقى عليك بضعة أسئلة .

سألته :

ــ فى أ ى شئ ؟

ــ فى موضوع أحب مناقشتك فيه، فى يوم الخميس ، منذ أسبوعين أى التاسع من هذا الشهر.. أين كنت فى تلك الليلة ؟.

ــ الخميس .. أوه .. كيف يمكننى أن أتذكر يا مستر تيللر .. الخميس أو الأربعاء .. إن الأمر يختلط على ..

ــ ارجعى إلى مفكرة مواعيدك إذن..ان لديك مفكرة ، أليس كذلك ؟

ــ كلا ، إن زوجى يتمني أن تكون لى مفكرة أسجل فيها المواعيد لأن الأمر يختلط على حقا .

ــ هل يمكنك أن تتذكرى أى شئ آخر عن أى يوم من أيام ذلك الأسبوع يمكننا ان نبدأ من هذه النقطة .

ــ حسنا ، إننا ذهبنا إلى السينما يوم الثلاثاء .. أو لعل ذلك يوم الأربعاء ولكننى لست واثقة من أى أسبوع كان ذلك .

قال تيللر فى ارتياح :

ــ يمكننا أن نعرف ذلك .. اذكرى لى اسم الفيلم واسم الدار التى كانت تقوم بعرضه .

قالت :

ــ ما أغبانى .. الواقع أننا لم نذهب إلى السينما كان فى نيتنا أن نذهب ولكننا لم نفعل وبقينا فى البيت .

ـــ مسز ايكهارت .. انك لست صريحة معى ..

ـــ كلا ، وكذلك أنت .. لأنك تريد أن تعرف أين كان زوجى وكل ما عليك هو أن تســـأله بنفسك .. أن له ذاكرة قوية ، ومن الواضح أنك تحاول خداعى .

قال :

ـــ ومن الواضح انني فشلت .

وتركها وهى فى حيرة من أمرها .

وفى الساعة السادسة سمعت سيارة تقف أمام البيت ، وحسبت أن كلايد هو الذى أقبل ، ولكن الرجل الذى هبط منها لم يكن كلايد وإنما أخوه ، و لم يكن هذا الأخير يأتى إلا نادراً .

ومضت إلى الباب ففتحته قبل أن يطرقه وقال وهو يبتسم :

ـــ لويز ! .. أنك فاتنة وإن كلايد لمحظوظ .

قالت :

ـــ أشكرك ، ولكن لم لاتزورنا كثيرا، انك لم تأت حتى الآن غير مرة واحدة .

قال مارتى :

ـــ ذلك إن كلايد لايرحب بى .. يخاف أن أسرق منه زوجته .

ونظر إليها فى ارتباك ، وقد أحمر وجهه ، كما لو كان لايريد أن ينطق بما نطق به فقالت :

ـــ لاتكن سخيفا أعلم أنك على الرحب والسعة دائما ، تفضل ودعته إلى الداخل .

قال وهو يدخل إلى غرفة المعيشة :

ـــ يسرنى ذلك ، ولكننى قادم الآن فى زيارة عملية ، فقد طلب كلايد أن آتى لكى أتحدث إليك .

ـــ فى أى شئ .. أين هو وماذا حدث ؟

ـــ لاشئ ولكنه سيقضى الليلة فى مكان ما.. إنه فى ورطة وأنا أحاول اخراجه منها .

سألته لويز فى حدة :

ـــ أى ورطة ؟

ـــ قضية برتا سيشتر، الظاهر انه كان يعرفها ، وقد رأت الساقية صورته ، وقالت أنه هو

الرجل الذى هدد برتا فى المطعم . هذه قضية خطيرة .

ــ وماذا يقول كلايد ؟

ــ يقول إن الأمر سخيف طبعا ، لقد عرض البوليس الصورة على الساقية فقالت أنه هو ، وليست هذه بالطريقة المثلى للتعرف على الأشخاص وسأعمل على دحضها .

وكيف ذلك ؟ أجاب فى غموض :

ــ هناك وسائل كثيرة .

واستطرد يقول ولويز تتفرس فيه :

ــ يجب أن أخبرك انى سألتقى بهذه الساقية الليلة ، وبعد أن نلتقى، فلعلها تشك فى أن الرجل الذى رأته مع برتا سيشتر رجل آخرغير كلايد .

سألته لويز فى هدوء :

ــ وهل عرفت أنت برتا ؟

ابدى مارتى حركة خفيفة تدل على دهشته ، ولكنه هز كتفيه وقال :

ــ وهل هناك أية أهمية لذلك .. إن المومس التى من طرازها تعرف أناسا كثيرين ، والشئ الوحيد الآن هو هل يملك كلايد ربطة عنق حمراء مرسوم بها حدوة حصان باللون الأسود ؟

ومـــد مارتى رأسه إلى الأمام وانتـــظر أن تتكلم لويز، وعندما لم تنطق قال :

ــ هل يملك واحدة ؟

ترددت لويز ولكن عندما تكلمت جاءت الاكذوبة بسهولة قالت :

ــ أننى لم أهتم بأربطة عنقه .. ربطة حمراء .. كلا .. أننى متأكدة من ذلك .

قال مارتى :

ــ هذا جميل ، المشكلة الحقيقية الآن هى أن نثبت أنه كان فى مكان آخر أثناء وقوع الجريمة ، وهو يقول أنه كان يقود السيارة ولايعرف أين ذهب لأنه كان يفكر فى بعض المعادلات الخاصة بعمله ، وأنت تعرفين كيف لايفطن المرء إلى كل شئ عندما تستغرقه الأفكار، وقد تكون هذه لمسة من لمسات العبقرية ، ولكنها عادة ما كان يجب أن يقع فيها فى ذلك الوقت بالذات ، فقد قتلت برتا سيشتر أثناءه .

سألته لويز :

ـــ وأين هو الآن ؟

يحتمل أن يكون فى الكوخ ، فقد لجأ إليه مرارا ، أليس كذلك ؟

أومأت لويز وقالت :

ـــ نعم أو على الأقل .

قاطعها مارتى قائلا :

ـــ ليس على الأقل ، إنه فى أمان فى الوقت الحالى وبعيد عن الخطر ولكنه سيكون فى مكتبى غدا صباحا، وسيسلم نفسه لرجال البوليس، إذا كانوا يريدون القبض عليه .. وأظن أنهم يريدون ذلك ..

نهضت لويز وراحت تتمشى فى الغرفة ، لقد حدث ذلك أذن .. كلايد وهذه المرأة .. وكان خائنا .. ذهابـــه إلى الكـــوخ ولقاءاته العلمية كلها أكاذيب !

وكانت تفترض ذلك فى سويداء قلبها ، ومع ذلك فقد كان زوجها ، ومهما كانت افكارها ومهما كانت شكوكها فيجب أن تكون مخلصة له ووفية ، كيف يمكن أن تدين زوجها قبل أن تلتمس الدليل على ذلك .

وتحولت إلى مارتى وقالت :

ـ قل لى ماذا يجب أن أفعل ؟

قال :

ـــ لاشئ ، لاتنطقي بشئ ولاتردى على الأسئلة ، إن لك ميزة خاصة هى أنك باعتبارك زوجته غير ملتزمة بأن تشهدى ضده ، وأنا أريد ذلك حقا لاتقولى شيئا ، إذا فعلت ذلك فلا تردى ، وإنما اجلسى واطبقى فمك يمكنك أن تفتحيه لكى تبتسمى ولكن لا لكى تتكلمى ، وإذا ما احتجت إلى مساعدة ما أو إلى أية مشورة فاتصلى بى ، لنخرج الآن لتناول العشاء معا .

ـــ لا أستطيع ، إننى أفضل البقاء فى البيت والتفكير .

ألقى مارتن إليها نظرة ثابتة وقال :

ـــ لعلك على حق ، ولكن تذكرى .. لاتنطقى بشئ .. والزمى الصمت ..

قالت :

ـــ حسنا .

ورأته وهو يركب سيارته وينطلق بها، كان يبدو، من مسافة ما كما لو كان كلايد .. نفس القامة ولون الشعر والهيئة والحركات .

وتنهدت ، ثم مضت إلى مخدعها وفتحت الدولاب ورفعت عينيها إلى الرف رأت صندوق الأحذية مكانه ولكنها لم تستطع القول إذا كان المسدس موجودا خلفه أم لا .

واغلقت الباب وسارت إلى المرآة ونظرت إلى صورتها ، وكانت شفتها العليا متزمتة ، كانت رقيقة شديدة الحساسية وراحت ترتجف ، و لم تلبث أن أخذتها هى نفسها رعشة شديدة فابتعدت عن المرآة .

ولجأت إلى فراشها مبكرة فى تلك الليلة ، ولكنها لم تنعم بالنوم ورأت احلاما مبهمة ومزعجة، وصحت مرة وهى ترتعش وبقيت مكانها لاتتحرك وقد تملكها الخوف كما كان يتملكها وهى طفلة.. كانت تخاف من شئ لاتعرفه، وتخاف من شعورها هى بالذات ، ومن شئ راح يلح على ذهنها، و لم تتمكن من النوم ثانية إلا عند الفجر .

وعندما صحت اكتشفت أن خفيها مبتلان من الرطوبة ، وان العشب المندى يعلوهما، فتحت الدولاب ونظرت إلى الرف فلم تجد الصندوق مكانه ولا المسدس .

وارتدت ثيابها وهى تفكر وهبطت إلى الدور الأرضى، وكانت زجاجة اللبن موجودة أمام الباب الخلفى وبجوارها صندوق الأحذية وكان الباب الخلفى مغلقا من الداخل ، وكذلك الباب الأمامى مما يدل على أن أحدا لم يدخل البيت ، وقد تأكدت من ذلك .. لاريب إذن أنها هى التى مشت وهى نائمة ، ولكن أين ذهبت ؟ وماذا فعلت ؟

كانت ذاكرتها بيضاء تماما عندما جلست وحاولت أن تتذكر، ولكنها عبثا فعلت، كان من الواضح أنها أخذت الصندوق من الدولاب وخرجت به ، ولكن هل عثرت على المسدس ونقلته هو الآخر واخفته فى مكان ما.. أو لعله لم يكن هناك مسدس على الاطلاق ؟

لم تتأكد من ذلك ، وإذا كان عقلها الباطن قد دفعها إلى أن تفعل شيئا ما فقد احتفظ بالأمر سرا دونها .

والتقطت الصحيفة من فوق عتبة الباب ، وجلست وقرأت الصفحة الأولى ، كان اسم

كلايد منشورا فى صدر الصحيفة ، وقد ذكرت أنه عالم مشهور وان البوليس يبحث عنه ، وقال محاميه أنه سيظهر اليوم ويوضح كل شئ .

ولكن الصحيفة أصدرت حكمها عليه مسبقا، فقالت أن كلايد كان يعرف برتا سيشتر، وأنه تناول الغداء معها منذ اسبوعين وهددها بالقتل ، وإنه لايستطيع أن يثبت أنه كان فى مكان ما أثناء وقوع الجريمة ، وأن الساقية تعرفت على صورة له ، وأن البوليس يعرف أن عنده مسدسا ، واختتمت الصحيفة مقالها بسؤال مشئوم :

ــ هل توجد على جسد كلايد ايكهارت خدوش أم لا ؟

وأقبل المفتش تيللر فى الساعة العاشرة ، وكان مهذبا متحيزا .

وقد سألها :

ــ هل يمكننى أن أدخل ؟

ــ طبعا ، ماذا تريد .

قال :

ــ مسدس زوجك ، يقول أنه موجود فوق رف بدولابك .

هل أستطيع أن أتحقق ؟

ــ لا أدرى لا أدرى هل تقول الحقيقة إنك حاولت خداعى أمس .

ــ و لم أحصل علي شئ .

ــ أريد أن أتحدث مع محامى أولا.. وهو أخو زوجى ، مارتى ايكهارت .

ــ تحدثى إليه اذن ، ولكن قولى له ان معى أمرا بالتفتيش ، وانى لست بحاجة إلى استئذانك ، كنت أفضل ذلك طبعا ولكن .

وأبرز لها أمر التفتيش فقرأته وقالت :

ــ نعم ، سأريك الدولاب وفحص الدولاب فى عناية كبيرة ولكنه لم يدهش عندما لم يجد المسدس ، وقال مسز ايكهارت سيكون الأمر عسيرا بالنسبة لزوجك .

ــ لماذا ، لأنه قال إن المسدس موجود هنا ، وطلب منا أن نحصل عليه وان نطلق منه بعض الطلقات لتجربتها ومضاهاتها بالرصاصة التى قتلت مسز سيشتر ، وقد صدقت انه برئ لمجرد لحظة تقريبا وان فى امكانه أن يثبت براءته .. ولكن بغير المسدس لايمكننا أن

نتأكد، وقد يكون ذلك أمراً عسيراً بالنسبة له .

ــ ماذا تعنى ؟ كانت هناك فرصة للتدليل على أن الرصاصة التى قتلتها لم تنطلق من مسدسه .. ولكن الآن .

وقطب وجهه فى حيرة ثم بدا أنه يفكر فى شئ وقال :

ــ هل أستطيع أن أتكلم فى التليفون ؟

ــ انه فى الطابق الأرضى .. سأرشدك الى الطريق .

وأمسك سماعة التليفون وأدناها لصق فمه وتكلم فى صوت هامس ، و لم تستطع أن تسمع مايقول ، وعندما فرغ نظرت إليه فى جزع وقلق فسألها :

ــ هل يمكن أن ألقى نظرة على القبو ؟

أومأت برأسها ورأته يعبر الغرفة متجها إلى القبو، وهبط إليه وبقى فيه نحو عشرين دقيقة ، وعندما صعد شكرها لتعاونها معه وغادر البيت .

استبد بها الخوف لأن شكوكها فى كلايد يمكن أن تدينه ، واختفاء المسدس يمكن أن يكون فيه هلاكه ، وإذا هى قالت للبوليس ما فعلته فسيدركون انها ارتابت فيه ، وأنه لابد أن هناك من الأسباب ما دفعها إلى ذلك .

وفى الظهر سمعت النبأ فى الراديو ، فقد أذاع ان البوليس أطلق سراح كلايد ايكهارت لعدم كفاية الأدلة ، وأن التحقيق مستمر فى نواح أخرى تنهدت فى ارتياح ، كان كلايد بريئاً إذن .. شخص آخر قتل برتا سيشتر ، ربما تناول كلايد العشاء معها فى يوم الخميس المذكور، بل لعله هددها ولكن هذا لايدل على أنه قتلها.. والخدوش ؟ لابد أن البوليس قد صدق تبريره بأن مارى مارى خدشته وإذا كان البوليس أطلق سراح كلايد ايكهارت لعدم كفاية الأدلة الأخرى ، ستصدق أى شئ يذكره كلايد .. أى شئ .

وعاد إلى البيت عند الأصيل .. سمعت سيارته وسمعت نباح مارى مارى ولكنها لم تنظر و لم تخرج للقائه .. بقيت فى غرفة المعيشة لأنها المكان الذى يتوقع أن يجدها فيه .

وعندما فتح الباب صاحت :

ــ كلايد .. وهمت بأن تندفع إليه ولكن ملامح وجهه أوقفتها على الفور ، و لم تلبث أن رأت ذراعه مدلى فى عصابة مربوطة إلى عنقه .. ذراعه اليمنى التى كانت تحمل الضمادة

بالأمس .

وسألته :

ـــ ماذا حدث ؟

قال :

ـــ أنه موقد الكوخ يجب أن نشتري موقدا جديدا فقد انفجر أمس وأحرق جلد يدى اليمنى حتى أعلى المرفق .

قالت :

ـــ لاريب أنك قضيت وقتا رهيبا ، آه يا كلايد ..انىي آسفة ، ماذا استطيع أن أفعل .

قال فى برود :

ـــ ألم تفعلى ما فيه الكفاية ؟ إنى أرسلت البوليس لكى يأخذ المسدس فأين هو ؟ إنك أخفيته أو اضعته أو .. ماذا فعلت به ؟

قالت وهى ترتجف :

ـــ ولكنهم أطلقوا سراحك .

ـــ لأننى تذكرت الطلقات التى أطلقتها وأنا أجربه فى القبو ، وقد وجدوا رصاصتين فارغتين وقارنوا بينهما وبين الرصاصة القاتلة وكانت مختلفة تماما، ولهذا اطلقوا سراحى ، أنك عاونتنى تماما، أليس كذلك ؟ لماذا لاتقولين لى أنك آسفة على ذلك أيضا .

تجمدت اطرافها وقد أذهلها بروده وجرأته وعداؤه .. ألم يفهم ؟ عصف الحزن والأسى بقلبها .. له ولها وللمرأة القتيل ولكل شئ ، كانت محزونة أسية ، ولكنه عنفها قائلاً :

ـــ ولماذا تأسفين ؟ ألأنك أعدمت دليل براءتى ، أو لعلك تأسفين لانه لم تكن لى علاقة بمقتل برتا ؟

ـــ كلا .. انىي حاولت مساعدتك ، لم يكن الأمر هينا ، كنت وحدى وقال لى مارتى إنك فى ورطة ، ولكنك لم تذكر لى أى شئ ، لو أنك ذكرت لى أى شئ أمس .. انىي قضيت وقتا رهيبا ، وعشت على أعصابى أنا الأخري .

قال :

ـــ ولكن البوليس لم يقبض عليك .

قالت :

ــ ارجوك . لاداعى للشجار .

ــ إنني لا أتشاجر ، ولكنني أتساءل لماذا تخليت عني ؟

قالت مستاءة وهى تتساءل لماذا تغير هكذا فجأة ، وإذا كان كلايد هو الذى ينطق بهذا القول حقا :

ــ لا أظنك تعنى ما تقول ؟

مضى إلى البار المتنقل وصـــب لنفسه شرابا مضـــى به إلى الفـــــراش وقال :

ــ حسبت انى خنت عهدك ، وانى كنت فى ذلك المطعم مع تلك المرأة، فى حين أننى قلت لك انى ذاهب إلى اجتماع، ومازلت تحسبين ذلك بسبب ربطة العنق .

ــ لم أعد أفكر فى ذلك .. أننى أريد أن أنسى .

قال :

ــ ولكننى أعترف لك أننى لم أحب هذه الربطة أبداً .

وتأمل شرابه واحتسى جرعة منه ثم قال :

ــ انى أعطيتها لمارتى .

صاحت :

ــ كلايد .. هل تدرى معنى ما تقول ؟.

أجاب :

ــ إن مارتى لم يقتلها .. كان فى مكتبه فى ذلك الوقت الذى قتلت فيه ، على بعد ثلاثين ميلا .

قالت :

ــ ولكن ..

والتبس عليها الأمر عندئذ ، من الذى تناول الغداء مع برتا يوم الخميس كلايد أو مارتى ؟ ولكن لم يعد لهذا الأمر أية أهمية ، كل ما تريده هو أن تنسى وان يطلع الغد وأن تتجنب هذا الموقف وتستعيد هدوء الذهن .

قال كلايد :

ـــ ولكن ماذا ؟.. ألا تنطقين ؟

قالت غاضبة :

ـــ كلايد .. لا أريد أن أنطق .. أريدك أن تتكلم أنت .

قال حسنا إنك مازلت غير متأكدة وتخشين أن تلقى على سؤالا مباشرا ولكن هل تتصورين حقا يالويز انى من الغباء بحيث أترك المسدس لكى يعثر عليه البوليس أو بحيث أدعى أنه اختفى .

أحمر وجهها وقالت :

ـــ دعنا من كل هذا واعطنى شرابا أنا الأخرى فلعلنى أشعر بتحسن .

نهض ومضى الى البار وصب كأسا ناولها إياه ، فأخذت منه جرعة كبيرة هبطت فى حلقها كالنار المحرقة ، وارتجفت رجفة سريعة .

قال :

ـــ حدست ما سوف يقع ، ولهذا ذهبت إلى مارتى أمس ، وتحدثت معه فى الأمر ، واستقرت نيتنا على أن نترك البوليس يقوم بعمله ويبنى حلقة من الأدلة ولهذا اختفيت لأعطيهم فسحة من الوقت للتأكد ، ثم مزقنا الأدلة واحداً بعد الآخر .

ـــ كيف ؟ كانت هناك الساقية التى اتضح أن شهادتها غير مؤكدة ، ثم كان هناك الدليل الذى لم يتمكنوا من دحضه وهو أن الرصاصة التى قتلت برتا لم تنطلق من مسدسى ، كما أنهم ..

وبسط ذراعه المصابة واستطرد :

ـــ كما أنهم لم يستطيعوا التأكد من الخدوش بسبب الحريق الذى التهم ذراعى ، كانت اللحظة الوحيدة الحرجة التى مرت بى هى عندما لم يعثروا على المسدس ، والآن قولى لى ماذا فعلت به ؟

قالت يائسة :

ـــ لا اذكر ، مشيت وأنا نائمة ولا أدرى أين وضعته وراحت تبكى .

وعادت إليها الذكرى أثناء الليل ، فرأت نفسها تفعل ما فعلته فى الليلة السابقة.. رأت نفسها تأخذ الصندوق والمسدس ، وتضع المسدس فى الصندوق لأنها خافت أن تمسكه

وهو محشو، ثم تخرج من البيت وتفرغ الصندوق مما به فى الظلام .. بل انها خافت أن تنظر إليه وهى تفعل ذلك ، ثم عادت إلى البيت مسرعة وتركت الصندوق الفارغ على عتبة الباب تذكرت كل شئ فى وضوح تام .

وبعد أن غادرها كلايد فى الصباح خرجت وأسرعت إلى السور الذى يقع خلف البيت ، وتبعتها مارى وهى تنبح مسرورة .

وتخطت لويز السور، ومضت الى وجار الكلب مباشرة ، وكان مثبتا الى السور بواسطة بعض المفصلات فوق فراغ صغير محفور فى الأرض حفره المالك السابق ومهده بالأسمنت ، وكان هو المخبأ الأمين الذى يمكن أن يكون كلايد قد أخفى فيه المسدس هو الآخر .

رفعت لويز الوجار من مكانه و لم تلبث أن رأت بالفراغ زوجين من الأحذية ومسدسين فندت عنها تنهيدة .. لم يكن كلايد من الغباء بحيث يستخدم مسدسه بالذات .. كلا بالطبع .. كانت تحدق فى المسدس الذى اشتراه لها وفى مسدس آخر.. هو المسدس الذى استخدمه .

وأعادت الوجار مكانه فى صوت مسموع واستدارت فإذا بالمفتش تيللر واقف بجوار السور ، وتقدم منها وقال :

ــ صباح الخير، هل أستطيع أن ألقى نظرة أنا الآخر ؟

* * * *

الفصل الخامس

يبدو الملعب أثناء مباراة البايسبول أشبه بدار للمجانين فما بالك إذا كانت هناك جائزة كبيرة لمن يستطيع التقاط الكرة ؟

عندما توقفت للحصول على التصريح رماني الدكتور باركر بابتسامة عريضة ثم قال :

ـــ هذا هو اليوم الكبير .. هل تشعر بانفعال يا جيمى ؟

ـــ قليلا يا سيدي .. أعني يادون ..أنني تحت المراقبة .

لم يرق له أن أدعوه سيدى فقد كان المفروض اننا صديقان .

وقال :

ـــ حسنا ، حسنا استمر علي هذا وتذكر أنه لابد أن تتمالك أعصابك ..

قلت :

ـــ اسمع يا .. دون .. هل لابـــد لى أن أذهـــب رأســـا إلى البيت.. إلي بيتها ؟

بدأت ابتسامة الخبير تخبو وقال :

ـــ انني لا أفهم يا جيمى .

ـــ إليك ما أعنيه أذن .. هذه أول مرة أقضى فيها عطلة نهاية الأسبوع فى الخارج ونحن نعرف معا أنها ستبدى اهتماما كبيرا بى وانها ستعاملنى كما لو أنني موشك على الموت .. مهلا يا دون أننى أستطيع أن اتقبل هذا بل انني أتوقعه .. وأنا فى أجازة .. خارج مستشفى للأمراض العقلية وسينظر إلى الناس فى استغراب .. وهذا كما تقول انعكاس لآرائهم الفاسدة عن العقل المريض .. إن ما أعنيه هو أننى سأذهب إلى المدينة قبل الظهر ، ويطيب لى أن أختلف إلى السينما أو أن أتجول قليلا وأخلو إلى نفسى ثم أذهب بعد ذلك .. للقاء أمى فى وقت العشاء .

ربت الدكتور باركر بيده على كتفى وقال :

ــ طبعا يا جيمى .. أريدك أن تخرج وأن تلهو وتذكر أننى لو لم أكن أعتبرك على استعداد لمواجهة العالم الخارجى ما كنت لاقترح أن تخرج لقضاء عطلة نهاية هذا الأسبوع فى الخارج ، ومادمنا نعرف أنا وأنت طباع أمك الاستبدادية أكثر مما تعرفه هى فإنه عليك أن لا تقضى فترة العطلة كلها معها فإن هذا عمل غير سليم منكما ، هذه تجربتك أنت .. وعليك أن تحرص على أن لاتتشاجر معها .

ــ أنها ستحاول ذلك طبعا .

الحق انها سوف تفعل عند أول لحظة تراك فيها ولكن عليك أن تتجمل بالصبر وأن تتمالك نفسك.. تذكر انها امرأة مسنة وانها تحبك كثيرا وانها اخطأت حين بنت كل حياتها حولك ، أدر دفة الحديث نحو انباء العالم ونحو الكتب والأفلام .. انك قرأت الصحف اليوم طبعا .

أجبت :

ــ أوه .. طبعا يا دون .

و لم أكن قد ألقيت نظرة واحدة على الصحف فى غرفتى و لم أشأ أن أعترف له بذلك حتى لا أثير قلقه وحتى لا أجازف بإلغاء الأجازة .

ــ حسنا .. امض إلى السينما بعد الظهر اليوم ثم تناول العشاء وشاهد التليفزيون مع أمك ، ثم اذهب صباح السبت لزيارة بعض أصدقائك القدامى وادع إحدى الفتيات إلى نزهة ما، ولكن وحدك ولا تصحب أمك معكما.. ثم تناول العشاء معها مرة أخرى ويمكنك بعد ذلك أن تصحبها إلى المسرح أو الي حفلة موسيقية وتناول إفطارك يوم الأحد ثم ودع أمك وأفعل بعد ذلك ما يحلو لك قبل أن تعود إلى هنا فى الساعة السادسة يا جيمى .. أنت وحدك تعرف ما يناسبك أكثر منى ويجب أن تكون دائما على رأس الأحداث .

ــ أننى افهم يا دون .

وربت على كتفى مرة أخرى وقال :

ــ حسنا .. حسنا .. استمتع بوقتك ولكن أقلل من الخمر .

أومأت برأسى فإن الخمر لم تكن تعنى شيئا بالنسبة لى .

ــ وفوق كل شئ لاتفقد جأشك ولاتحقد .

مرت ساعتا الرحلة على ما يرام ولكن المدينة أثارت خوفى كل الخوف فإن الزحام كان شديدا والتوتر السائد فى الجو كان كأنه ستار مقيد وقلت أحدث نفسى"حسنا ، تمهل ، تذكر انك الآن كالفلاح الذى لم ير المدينة منذ وقت طويل .. لم ير المدينة ولا الناس ولاحتى الواقع منذ ثلاثة عشر شهرا ، فتمهل ، تمهل جدا .

ورحت أتجول هنا وهناك مع الجميع الذين راحوا يتدافعون وهم فى عجلة من أمرهم كما لو كانوا لايملكون دقيقة واحدة يخلدون فيها الى الراحة وتملكنى الضجر و لم أشأ أن أذهب الى البيت حيث أمى أو أن ازور أحدا من اصدقائى وأن ألمس الشك فى صوقم وهم يصافحوننى ويتساءلون إذا كنت خطراً أم لا، ومررت بدار السينما فدخلت ، وبدا الظلام ملاذا مريحا فى البداية ولكن الفيلم كان سخيفا جدا فبدأت أشعر بالجزع .. كما لو كنت أتألم من وهم للمرة الثانية .

وخرجت من السينما وأحسست بالجوع وطلبت شطيرة وكوبا من عصير البرتقال فى أحد المطاعم وكان البائع يتحدث مع رجل أسود وقد خاطبه قائلا :

ــ ياله من يوم شديد الحر ، أنه يوم من هذه الأيام التى تروق لى .. لعله يفعلها .. ليتنى كنت فى أجازة اليوم .

قال الرجل الأسود وهو يقضم شطيرته :

ــ وأنا أيضا.أننى واثق انها ستكون مباراة بايسبول كبيرة اليوم .

قلت :

ـ معذرة ..هل هناك مباراة فى الكرة اليوم ؟

تحول الرجلان إلى وراحا يحملقان فى ، وشعرت بالغضب يغلى فى عروقى وعندما هممت بأن اسألهما لماذا يحدقان فى هكذا ضحك البائع فجأة ضحكة رقيقة وقال فى هدوء :

ــ أين كنت يا رجل ؟ هل هناك مباراة اليوم ؟ ولكن هذه هى مباراة العصر.. آخر فرصة لروكى بارنس لكى يضرب الرقم القياسى فى بلوغ الهدف .. نعم يا رجل .. هذه آخر مباراة فى الموسم وستكون مباراة ولا كل المباريات .

ــ أوه ، اننى كنت .. فى الخارج هل ستقام المباراة فى الاستاد ؟

قال الرجل فى وضوح على الرغم من أن فمه كان مملوءا بالطعام :

ـــ طبعا وستبدأ قبل أقل من ساعة .

أخذت القطار المحلى إلى الاستاد فقد كان القطار السريع مزدحما جدا ولكن القطار المحلى كان لابأس به، وكان الاستاد فى البداية مخيفا فهذا الهدير المستمر لآلاف من المتفرجين الذين يصيحون ويصرخون .. و لم أجد له معني .. وكنت أجلس فى المدرج فانتقلت إلى مكان مقفر و لم يكن باستطاعتى أن أرى الجوارن جيدا ولكن المكان كان مشمسا وكنت فيه بعيداً عن تدافع المتفرجين تزاحمهم وكنت قد اختلفت إلى الاستاد مرارا كثيرة قبل اليوم وكنت استمتع بالنظر إلى الناس والفتيات على الرغم من فرقعة الأصوات فى أذنى .. يا الله ! كلما اشترك هذا البارنس فى اللعب راح الجميع يصرخون ويصيحون كالمجانين .. ويبدون أسوأ من هؤلاء القـــوم الـــذين يحتجزونهم فى المبنى رقم ٣٢ .. ومع ذلك فهم طليقوا السراح .

وكنت أري بارنس جيدا وهو يلعب فى أقصى الملعب وبدا لى أنه على غير ما يرام فقد كان وجهه متعبا وبادى الانفعال ، وتساءلت لماذا يبدو اللاعب مترعجا هكذا فى آخر مباراة فى الموسم ، وأثناء الشوط الرابع راح يضرب الكرة بسرعة وعلى الرغم من أننى لم استطع رؤيته فقد أحسست بالتوتر الذى يسود الجو وسمعت فرقعة المضرب ، والضجيج الهادر والصاخب لخمسة وعشرين ألف متفرج وارتطمت كرة البايسبول بالدرج المسقوف ثم أرتدت نحوى وتدحرجت عند قدمى وكنت وأنا صبى قد أمسكت الكرة قبل أن تصيب الهدف فى نفس هذا الاستاد و..

تنبهت فجأة إلى الصمت المطبق حولى ، ووقف الجميع وقد اشرأبت أعناقهم إلى ، وراح الفتيان والرجال يدقون مقاعدهم نحوى ويصيحون كلهم ويهدرون كالمجانين ، و لم ألبث أن رأيت شرطة الاستاد يسرعون نحوى فتملكنى خوف شديد وأردت أن أصيح ماذا بكم .. هل أنتم مرضى ؟ إننى لم أفعل أى سوء .. كل ما فعلته هو أننى التقطت الكرة فى المدرج و .. ماذا دهاكم جميعا ؟

أطبقت عيناى وعندما فتحتهما كان الناس لايزالون يسرعون إلى ففقدت جأشى وغلبنى الخوف فاستدرت وهربت نحو مكان متفرق خلال أحد أنفاق الخروج وعندما خرجت

منه لم أدر إلى أى ناحية أذهب وفيما عدا الهدير الذى خلفته ورائى سمعت وقع أقدام و لم يلبث أن ظهر رجل ضخم يرتدى قبعة قذرة وقميصا رياضيا فاقع اللون وهجم على ، وكانت له عينان براقتان ووجه أحمر وصاح وهو يمد اصابعه القذرة نحو يدى :

ـــ اعطنى الكرة .

ـــ لماذا ، أنا الذى التقطتها وهى لى ، هل أنت ؟

ولكنه ضربنى قبل أن أفرغ من قولى وتفاديت الضربة بأن تلقيتها على كتفى ، وكانت ضربة قوية ، ولكننى كنت تحت المراقبة وكنت أمارس الألعاب الرياضية فى المستشفى فلم أشعر بأي خوف وأنا أصارعه غير اننى خشيت أن أقسو فى معاملتى له ولهذا اكتفيت بأن اتلقى ضرباته بيدى وسألته :

ـــ ماذا بك يا صاحبي .. ماذا دهاكم جميعا ؟

واستمر يضربنى وتلقيت ضرباته بساعدى وأفلتت كرة الشر من يدى وتدحرجت تحت احدى المناضد المعدة لبيع المرطبات وتحول الرجل عنى وزحف تحت المنضدة .

وغاب عن عينى وتساءلت فجأة هل هناك حقا شخص ضخم أقام كل هذه الضجة بسبب كرة ؟ وزحفت تحت المنضدة .. ولكن ليس لكى أتعارك وأخذ الكرة ولكننى أردت فقط التأكد مما إذا كان الرجل موجودا حقا .. أو إذا كنت قد جننت من جديد . بيد أنى وجدته هناك متكوما حول نفسه والكرة فى يده اليمنى ، وعندما رآنى شهر فى وجهى مسدسا فى يده اليسرى وقال :

ـــ اغرب عن وجهى .

ـــ اسمع .. أرجو أن تخبرنى عن السبب فى كل هذا ..

وحرك المسدس بيده اليسرى بطريقة خرقاء وكنت أكاد ألمسه فأمسكت المسدس بقبضتى وحولت فوهة المسدس نحو قميصه القذر وأنا أقول :

ـــ أرجو أن تخبرنى لماذا تهددنى بهذا المسدس .. لماذا ؟

وحاول أن يقاوم وأن يحرر ذراعه ولكننى شددت الضغط عليه ، وعلى الرغم من اننى كنت مذهولا فقد كنت فخورا من نفسى فى نفس الوقت فقد كنت فى أعماقى شديد الهدوء والبرود وقلت أنك تهددنى بالقتل من أجل كرة لماذا ؟ هل أنت مريض ؟

ودوى انفجاران ضاعا وسط الهدير الصاخب واحترق قميصه القذر فجأة وبأن به ثقبان راح الدخان يتصاعد منها ثم انبثق الدم وأفلتت يده اليمنى الكرة فجأة .

ولما كنت أعلم أن هذا لايمكن أن يحدث فقد وقفت أحدق فى عينيه الميتتين ، بل إننى لمست بشرته الشاحبة ثم خرجت من تحت المنضدة ووقفت بعيدا وأنا مدرك بأن ثيابى قد اتسخت ورحت أنظر حولى ثم بدأت أعدو ، وخرج من النفق ثلاثة من رجال الشرطة اصطدمت بهم تقريبا فأمسكوا بى وقال أحدهم :

ــ هالو .. هاهى الكرة ..

قلت وأنا لا أفكر فى مقاومتهم :

ــ من فضلكم .. من فضلكم ماذا يحدث هنا بحق السماء ؟

لطمنى رجلان منهم فى ظهرى .. فى رفق تقريبا وسط هذا الكابوس الغريب وقال لى أكبرهما :

ــ سنذهب الى المكتب .. إنك فعلتها .

ــ اصغ الى .. اننى لم أفعل شيئا ..عليه اللعنة .. إنه هو .

وقال الرجل ونحن نمشى :

ــ إنك رجل محظوظ بكل تأكيد .

ومررنا خلف السياج بالجمهور الصاخب الذى أولى ظهره للملعب وراح يصيح ويشير إلى وبدأت أقول وقد شعرت بالجفاف فى حلقى :

ــ هل كان هذا .. حدث حقا ؟

عاد الشرطى الأكبر سنا يقول :

ــ ماذا ؟ طبعا من المؤكد أنك رجل محظوظ ، هذه هى الكرة التى ضربت الرقيم القياسى ، ما عليك إلا أن تسلمها فى المكتب فتحصل على العشرة آلاف دولار كما ذكرت الجرائد .. عشرة آلاف دولار مقابل لحظة عمل و...

قلت :

ــ عشرة آلاف دولار .. أتقول حقا ؟

ضحك رجال الشرطة وقال أحدهم :

ـــ إن المحظوظ مذهول .. لو اننى كنت مكانه لذهلت مثله عندما أرى فى يدى عشرة آلاف دولار أيها الشاب ، إنك ربحت المبلغ حقا ، وسيخف المصورون ومراسلو الصحف إليك وستظهر فى التليفزيون . .. ابتهج يا صاحبى .

رميته بنظرة عتاب .. وأنا أتساءل متى يعثرون على الجثة تحت المنضدة لن يهم أبدا كيف أعلل وجودها فلن يطلق سراحى من المستشفى الآن إلى الأبد .

وابتعدنا عن المكان واختلطت بالجمهور الصاخب وسمعت شخصا يقول فى شبه غموض :

ـــ حذار ، لقد أغمى على المحظوظ .

* * * *

تمت